



شعبة التاريخ

المسلك: التاريخ والحضارة

الفصل: 2

الوحدة: 8

المادة: تاريخ الإغريق والرومان

الأستاذ: الزبير بو حجار

المقرر:

- I- تقديم عام وإشكالية المصادر
- II- العالم الإغريقي وجغرافية البلاد
- III- حضارات الفترة المبكرة
 - 1- الحضارة الكوكلادية
 - 2- المينويون = الكريتيون: تاريخ وحضارة
 - 3- الموكيتنيون = الآخيون: تاريخ وحضارة
- IV- من الفترة الغامضة إلى الفترة الهلينية:
 - 1- المدينة الإغريقية : الأصول والتطور السياسي.
 - 2- اسبرطة: المجتمع والنظام السياسي.
 - 3- أثينا: المجتمع والنظام السياسي والإصلاحات

بعض المراجع المفيدة في المادة، متوفرة على الانترنت:

1. ويل ديوانت، قصة الحضارة ، الجزء 6.
2. مكاوي، فوزي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، الدار البيضاء، 1980.
- Finley, M., Les premiers temps de la Grèce, Flammarion , 1980. .3
- Lévêque, P., L'Aventure grecque, Armand Colin, 1993. .4

1- تقديم عام وإشكالية المصادر:

يشكل ماضي الإنسانية جماء موضوع التاريخ. والإنسان منذ البدء لم يتوقف عن الإبداع والابتكار لتطوير ظروف عيشه والرقي بمستواه الحضاري. وفي ظل انتظامه في مجتمعات أفرز حضارات لم تكف بدورها عن التطور، وصارت بمظاهرها المميزة وانتمائها البشري والجغرافي قاعدة في التصنيف العام، شرقية وغربية. غير أن هذه الحضارات، بما تشمل عليه من اختلافات وتباينات فيما بينها، هي حضارات متكاملة؛ حيث أغنى بعضها بعضاً في ظل حركة التأثير والتأثير. وهي تمثل في نهاية المطاف تاريخ الإنسانية، وحضارة الإنسان بصفة عامة. فمن باب الاعتبار والاستفادة من تجارب الماضي، وفهم واستيعاب الأحداث والواقع في تسلسلها، والعلاقات فيما بين الشعوب والمجتمعات، إذ تفرض دراسة تاريخ مختلف الحضارات نفسها. وفي هذا السياق تدرج دراسة تاريخ الإغريق.

تمكّن سكان بلاد الإغريق بعد مرحلة من الاحتكاك مع الحضارات الشرقية القديمة، كالحضارة المصرية وحضارات بلاد الرافدين والحضارات الآسيوية، من إبداع حضارة خاصة بهم. فكانت حضارتهم فعلاً حضارة متميزة ضمن سلسلة الحضارات التي عرفتها العصور القديمة، ومثلت أيضاً حضارة استثنائية؛ مما خول لبعض الباحثين وصفها بالمعجزة الإغريقية، ووصفـت أيضاً بالمغامرة الإغريقية. إنها أقدم حضارة تبلورت على الأراضي الأوروبية، ولذلك اعتبرت أول حضارة غربية، وأساس الحضارة الغربية الحديثة. وكانت نموذجية بما عرفته من تطور وإبداع وابتكار. كما أنها أسست منذ وقت مبكر للحركة الإنسانية Humanisme ، التي شكلت أحد أهم المظاهر المميزة لعصر النهضة الأوروبي وما تلاه.

وحيث أن الحضارة الإغريقية أضافت الشيء الكثير في مجال الحضارة الإنسانية، فإنها ظلت مدة طويلة تمثل حضارة مرجعية، وخاصة في الميدان الفكري: فالحضارة الرومانية تعتبر وريثة الحضارة الإغريقية؛ ونهضة الحضارة الإسلامية في العهد العباسي مدينة في الكثير من الجوانب للفكر والإغريقي¹؛ والنهضة الأوروبية بدورها لها ارتباط وثيق بالفكر الإغريقي من جهة، والتراث المعرفي الكبير الذي حصل في ظل الحضارة الإسلامية من جهة ثانية.

لقد ساهم الإغريق بشكل كبير في تطور الفكر والمعرفة، معتمدين في ذلك على الانفتاح على الحضارات المعاصرة لهم، التي تأثروا بها كثيراً؛ غير أنهم لم يتوقفوا عند حد الاقتباس، بل عملوا في ظل ذلك على الابتكار والإبداع في شتى المجالات: في مجال علوم الفلك والطب والهندسة والنحت والفن؛ وفي مجال الجغرافيا والأداب

¹- في زمان دولة العباسين، وخاصة عهد حكم المأمون وهارون الرشيد، انطلقت الحركة الفكرية، حيث تم تشجيع العلم والعلماء والإقبال على الترجمة، فحظيت بذلك المؤلفات الإغريقية باهتمام كبير؛ ولم يقتصر الأمر على الترجمة فقط بل تعداها إلى الدراسة والمراجعة والاجتهاد في تطوير المعرفة في مختلف العلوم والفنون..

والتاريخ والفلسفة؛ وفي النظم السياسية والتشريع والقوانين، وغير هذا من المجالات التي لا تزال بصمتهم حاضرة فيها حتى الآن.

وجدير بالذكر أن الحضارة الإغريقية بحصر المعنى ترتبط بفترة زمنية يصطلح عليها بالعصر الهليني l'époque hellénique . لكن تاريخ الإغريق يتجاوز هذا العصر إلى فترات سابقة عنه في الزمن، وأخرى لاحقة. فالإمام بالتطور الحضاري الذي عاشته بلاد الإغريق يقتضي تتبع مسار تاريخ الإغريق منذ الأصول إلى غاية منتصف القرن 2 ق م على الأقل، تاريخ فقدان الإغريق استقلالهم ودخولهم عهود الاحتلال والتبعية¹. أما المجال الجغرافي للحضارة الإغريقية فيتجاوز بلاد الإغريق بمفهومها الضيق، المتمثل في المجال القاري الممتد جنوب بلاد مقدونيا بشبه جزيرة البلقان، ومعها المجموعة الكبيرة من الجزر المنتشرة في بحر ايجه، إلى العالم الإغريقي الذي يشمل المجالات السالفة ذكرها ومختلف المناطق التي استوطنها الإغريق شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط ، أي سواحل آسيا الصغرى، وضفاف البحر الأسود، وجنوب ايطاليا الذي سمي بإغريقيا الكبرى، وجزيرة صقلية، وغيرها من الجزر والمناطق التي بلغها الاستيطان الإغريقي. وفيما يلي رسم توضيحي يلخص مراحل تطور التاريخ الإغريقي من الأصول إلى غاية انتهاء عهد الاستقلال والدخول في مرحلة التبعية لقوى الأجنبية، كما هو متعارف عليه بين الباحثين:

الاصول	ق 12 ق م	ق 8 ق م	ق 323 ق م	146 ق م
الفترة المبكرة	الفترة الغامضة	العصر الهليني	العصر الهليني	العصر الهليني

م 490 ق

الفترة الكلاسيكية	الفترة العتيقة
-------------------	----------------

¹- في سنة 146 ق م تمكنـت الـدولـة الروـمانـية، في ظـل سيـاستـها التـوسـعـية في عـالـم الـبـرـ الأـبيـضـ المـتوـسـطـ، من الـانتـصـارـ عـلـى الإـغـرـيقـ وـضـمـ جـالـهـمـ إـلـى نـفـوذـهـ؛ وبـذـلـكـ فـقـدـ الإـغـرـيقـ استـقـالـهـمـ بـصـفـةـ نـهـائـيـةـ. حيث دـخـلـتـ بلـادـ الإـغـرـيقـ بـعـدـ مـرـحـلـةـ الـاحتـلـالـ الـرـوـمـانـيـ تحتـ نـفـوذـ الإـمـرـاطـورـيـةـ الـبـيزـنـطـيـةـ، ثـمـ اـنـقـلـتـ بـعـدـ ذلكـ إـلـىـ الـحـكـمـ الـعـلـمـانـيـ؛ وـلـمـ تـسـتـعـدـ استـقـالـهـاـ سـوـىـ بـعـدـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ.

مصادر التاريخ الإغريقي :

تقتضي دراسة تاريخ الإغريق القديم دراسة متأنية لمختلف أصناف وأنواع المصادر، التي يمكن أن تفيد في دراسة هذا التاريخ والكشف عنه وفهم ملابساته. وفي هذا السياق يبرز - وفق التصنيف العام - صنفان من المصادر: مصادر أدبية، ومصادر أثرية.

المصادر الأدبية: يضم هذا الصنف المؤلفات القديمة التي كتبت في فترة معاصرة للأحداث أو بعدها بمدة.

وهذه المؤلفات لا تقتصر فقط على كتابات المؤرخين، وإنما تشمل كذلك ما كتبه الجغرافيون وال فلاسفة والأدباء والشعراء والخطباء وكتاب السير وغيرهم؛ باعتبار أن دراسة التاريخ لا تقتصر على الاهتمام بالنخبة، وبأمرور السياسة والحكم وال الحرب، بل تتعذر ما هو سياسي وعسكري ودبلوماسي إلى أحوال الشعب الاقتصادية والاجتماعية، وإلى الحياة الدينية والفكرية والفنية، والعادات والتقاليد... فالحاجة إلى مثل هذه الكتابات الأخيرة تصبح ذات أهمية أكبر في ظل شح الصنف الأول من المؤلفات (أي كتابات المؤرخين)، كما هو الشأن بالنسبة لفترات من التاريخ الإغريقي التي لا تعرف ملامحها سوى من خلال المصادر الثانوية.

وهناك حيئيات تفرض نفسها بقوة على دارس تاريخ الإغريق فيما يتعلق بالمصادر الأدبية. ذلك أن معظم الكتابات (سواء السياسية أو التاريخية...) التي وصلتنا تعود في أصلها إلى عالم أثينا، باعتبار انتماء أصحابها إلى مدينة أثينا أو تأثرهم بعالم أثينا؛ حيث كانت المدينة مركز إشعاع فكري عالمي، وقبلة العلماء والمفكرين من مختلف الأنحاء، كما يتبيّن من النماذج التالية:

- توسيديد 395-465، من مدينة أثينا، ويُعتبر مؤسس منهج النقد التاريخي. ومن أهم مؤلفاته كتاب "حرب البيلوبونيز".
- الحكيم سocrates، من ناحية أثينا، وقد تعلم على يديه الكثير من مشاهير المفكرين والأدباء الإغريقي، مثل كسينوفون، أفلاطون...، لكنه لم يخلف أي أثر مكتوب. وقد حكم عليه بالموت بواسطة تجرع السم، وذلك بتهمة إفساد الأخلاق وإثارة غضب الآلهة بأفكاره.
- ايسocrates 436-338 ق.م، من ناحية أثينا، وهو خطيب وسياسي وفيلسوف، أسس مدرسة للخطابة، ومن أقواله المأثورة: "إتقان الكلام من إتقان التفكير".
- كسينوفون 355-430 ق.م، تلميذ سocrates، وهو مواطن من ناحية أثينا، وأرستقراطي مناصر للنظام الأوليغارشي (نظام حكم الأقلية). كان قائداً عسكرياً. ووقف بجانب دولة إسبarta، وألف عدة مؤلفات من بينها: L'Anabase, Les Helléniques, L'Economique

- أفلاطون الذي عاش بين 348-428 ق.م؛ وأصله من ناحية أثينا. ألف العديد من الكتب، ومن أشهرها كتاب "الجمهورية"، وكتاب "المأدبة Le Banquet" ، ومن خلال مؤلفاته نقف على فكر سocrates الذي كان أستادا له.
- أرسطو عاش بين سنتي 384-322 ق.م، وأصله من بلاد مقدونيا، لكنه هاجر إلى أثينا حيث أصبح تلميذ أفلاطون؛ ونبغ في شتى ضروب المعرفة: كالفلسفة والخطابة والمنطق والفيزياء والشعر والمسرح...؛ وقد أشرف على تربية الإسكندر الأكبر المقدوني، الذي سيقوم بعد تولي الحكم في مملكة مقدونيا بإنشاء أول أكبر إمبراطورية في التاريخ القديم.
- أرسطوفان 385-445 ق.م ، من ناحية أثينا، وهو من بين أوائل شعراء الكوميديا المشهورين، حيث ألف نصوصا مسرحية هزلية متعددة، محورها انتقاد الأنظمة السياسية ورجال السياسة بأسلوب المأساة.
- ديموستين 322-384 ق.م، من مدينة أثينا، وكان رجل دولة، وخطيبا بارعا، وأشهر مؤلفاته "الخطب في الواقع تطول القائمة إن أردنا جرد كل المفكرين والعلماء الذي كانت لهم صلة قوية بأثينا كمدينة، أو كمركز حضاري، وكتبوا عن تاريخ الإغريق. ولهذا السبب نجد أن تاريخ أثينا يحجب جزئيا تاريخ المدن الأخرى مثل كورنثا وإسبرطة وطيبة...، وهاته مدن لا يُعرف تاريخها بشكل مفصل، بل لا يعرف سوى من خلال علاقة تلك المدن بأثينا.
- ومن الملاحظ أيضا أن مقاربة المؤرخين القدماء ركزت على المظاهر السياسية والعسكرية والدبلوماسية للأحداث على حساب مقاربات من طابع آخر، من قبيل التاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي وتاريخ الدهنيات، وغير هذا. كما أن العديد من المصادر قد اندثرت أو لم تصلنا كاملة. ومن المعلوم أن بعض الفترات من التاريخ الإغريقي لا يوجد حولها مصادر أدبية مباشرة: فالفترة الغامضة، على سبيل المثال، الممتدة من 1100 ق م إلى 800 ق م، لم يصلنا عنها أي وثيقة أساسية. فالأبحاث الأثرية هي المعتمدة في الغالب في دراسة ملامح هذه الفترة وأثارها. وما يوجد من نصوص أدبية حول هذه الفترة يرتبط بمصادر ثانوية أو غير مباشرة، مثل: الأسعار الهوميرية المنسوبة للشاعر هوميروس، الذي شكل هو وقصائده موضوع جدل كبير بين الباحثين المحدثين؛ وكتاب "التاريخ"، الذي ألفه هيرودوت في القرن 5 ق.م؛ وكتاب "وصف بلاد الإغريق"، لبوزانياس الذي عاش في القرن 2 ق.م؛ وكتاب "المكتبة التاريخية"، لديودور الصقلي وهو من أهل القرن 1 ق.م؛ وكذلك "سجل الأحداث التاريخية les chroniques" ، للقديس جيرروم الذي عاش ما بين القرنين 4 م - 5 م. وهذه كتابات تتضمن إشارات كرونولوجية عابرة ولوائح أسر ملوك هذه الفترة، مع ما يكتنفها من غموض.

المصادر الأثرية :

إزاء النقص الكبير في المادة التوثيقية الأدبية قدّمت الأبحاث الميدانية الأركيولوجية والدراسات المرتبطة بها مادة تاريخية مهمة، وأحياناً أساسية حول تاريخ الإغريق القديم. فالشواهد الأثرية تعتبر مصادر أصلية ومُباشرة، تقدم مادة علمية خام عن فترة تاريخية أو حدث ما، دون تأثر بمؤثرات خارجية أو أهواء شخصية. وهي شاملة لمختلف مناحي الحياة وكل فئات المجتمع، وتشمل البخس والتمين من الآثار ذات الصلة بالإنسان. وتتضمن: الوثائق البردية والنقائش والنقوش والعملات والرسوم، ومختلف المنتجات الصناعية مثل صناعة الخزف والزجاج، والصناعات المعدنية. وتشمل أيضاً الأطلال الأثرية، المدنية والعسكرية، سواء كانت منقوشة أو صماء، وغير هذا من مخلفات الإنسان.

فمع تطور مفهوم الوثيقة واتساعه بعد القرن 18 م، أصبح لزاماً على دارس التاريخ الإغريقي القديم، وغيره من التواريخ، عدم تجاهل أحد هذين النوعين من المصادر (الأدبية والأثرية)، باعتبار أن كلاً منها مكمل للآخر. ذلك أن المادة التوثيقية الأركيولوجية تقدم معلومات وفيرة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية، لكنها عادة ما تخل بالمعلومات السياسية، في الوقت الذي تتحدث المؤلفات الأدبية بإسهاب عن الأحداث السياسية والمعاهدات والصراعات والحروب والانتصارات والهزائم، وعن العلاقات الدبلوماسية، وعن الشخصيات...؛ ولهذا ينكب الباحثون على المادة العلمية المتوفرة من المصدررين معاً، فيدرسونها دراسة نقدية، ووفق قواعد منهجية، لاستنباط الحقائق واستبعاد ما هو مثار شك، ليقدموا في نهاية المطاف عملاً تاريخياً يعرض بصورة تقريبية واقع شعب من الشعوب خلال فترة من فترات تاريخه. ومن المعلوم أن قدرات الباحثين تتفاوت في استنطق وقراءة المصادر واستخلاص المعلومات والأفكار، وهذا ما يبرر اختلاف النتائج التي يخرجون بها أحياناً، وتباين وجهات النظر في تقييم الأحداث التاريخية أحياناً أخرى.

بناء على ما سبق، ثُلِّم دراسة تاريخ الإغريق على الباحثين الاعتماد على المصدررين معاً. فإلى جانب دراسة ما تركه المؤرخون، من أمثل هيرودوت وتوسيديد وكُسيثوفون وبوليب، وما كتبه الشعراء، من أمثال هوميروس وهيزيون وبندار وسُوفوكليس وأرسطيد وسافو، تكشف حياة الإغريق الفكرية وتتراءى صراعاتهم السياسية من خلال مؤلفات الفلاسفة والخطباء كocrates وأفلاطون وأرسطو وبيو جينيس وبيموسجين...؛ ولا تكتمل الصورة حول تاريخ الإغريق وحضارتهم عموماً إلا بدراسة ما تقدمه الحفائر من مكتشفات أثرية، حيث يمكن دراسة أسلوب العمارة وتطوره من خلال أطلال المعابد والساحات وبقايا المساكن والمقابر، ويمكن الاستفادة في المجال الاقتصادي عبر رصد مدى انتشار العملة وأحجامها والعبارات التي كتبت عليها وبقايا الصناعات المختلفة

و خاصة منها صناعة الفخار، ويمكن تتبع تطور التقنيات العسكرية عبر دراسة أنواع الأسلحة التي استخدمها الإغريق في حروبهم...

إشكالية الكتابة الإغريقية القديمة:

تعتبر الكتابة عنصرا حيويا لفهم التاريخ الإغريقي في عصوره المبكرة بصفة عامة، والحضارة المينوية بصفة خاصة. فالأبحاث الأثرية في بلاد الإغريق مكنت من اكتشاف مئات من الأختام، وعدد كبير من الألواح الطينية التي تدل على أن المينويين في جزيرة كريت كانوا يعرفون الكتابة. ففي مدينة كносوس على الخصوص عثر العالم آرثر إيفانس (1883) على ألواح طينية مكتوبة، واستطاع التمييز ضمّنها بين عدد من الكتابات: أقدمها عبارة عن رسوم ترمز إلى الكلمات المقصودة منذ العصر المينوي القديم؛ ثم ظهرت بعدها كتابة هيلوغلافية وتطورت؛ ثم ظهرت بعد ذلك كتابة خطية مُبَسَّطة خلال العصر المينوي الأوسط الأعلى (حوالي ق 17 ق م)، سميت بالكتابة "الخطية أ" Lineaire A . وفي حوالي القرن 14 ق.م - حسب إيفانس- ظهرت الكتابة "الخطية ب" Lineaire B التي تبين أنها لا تنحدر من الكتابة الخطية A . والملاحظ أنه عُثر في كل من مدينة موكييناي وجزيرة كريت على ألواح مكتوبة بالخطية B. وبعد اكتشاف هذه الألواح طرح مشكل قراءة الكتابتين الخطيتين A و B : فبينما بدا أن الكتابة الخطية A من الصعب قراءتها، تمكن الباحثون من فك رموز الكتابة الخطية B سنة 1952، وصارت ثُقراً بفضل العالم الانجليزي M. Ventris والألماني شادويك . وتبيّن أيضاً أن هذه الكتابة الأخيرة كتبت بها لغة إغريقية قديمة. فكان لهذا الاكتشاف أثر كبير في فهم التاريخ الإغريقي، وهذا ليس لأن الألواح تحمل كتابات إغريقية أدبية أو معلومات دقيقة (إذ هي عبارة فقط عن حسابات تجارية وأسماء بعض الكهنة والآلهة، وجرد للمداخل والمصاريف)، وإنما تكمن أهميتها في كون وجود الألواح أفاد بأن وجود الإغريق هو أقدم مما كان يتصور؛ وأنه في الوقت الذي كانت فيه الحضارة المينوية في أوجها (ق 14)، كانت اللغة الأخيرة هي اللغة المستعملة في كносوس. ولهذا ارتأى بعض العلماء أن الهيمنة الكريتية على البحر كانت قد انقرضت قبل ذلك التاريخ بوقت طويل، وأن الآخرين بدأوا بفرض سيطرتهم على البحر الإيجي ربما منذ 1700 ق.م، وأن الهيمنة الكريتية لم تكن سوى هيمنة آخية في جزيرة كريت. وهذا كله طرح مشكل إعادة النظر في تاريخ جزيرة كريت بر茅ه.

II- جغرافية بلاد الإغريق:

من المسلمات أن الجغرافيا، الأرض بمختلف معطياتها، هي الميدان الذي تجري فوقه أحداث التاريخ. ومن المعلوم أيضاً أن الإنسان ابن بيته، إذ تؤثر فيه ويتأثر بها، وليس بسعه سوى التحاوب معها بما يراكمه من خبرة وما يتحقق لديه من تطور المعرفة. وتمثل بلاد الإغريق نموذجاً من بين النماذج المتميزة التي تعكس بوضوح مدى تأثير عامل الجغرافيا في توجيه تاريخ المنطقة: حيث يبرز عامل الموقع، الذي يجيء وضعية بلاد الإغريق في علاقتها بمحيطها، والموضع، الذي يكشف عن المقومات الطبيعية للبلاد، من تضاريس وترابة ومناخ وأنهار وبحر...

فمن خلال خريطة جغرافية عامة لحوض البحر الأبيض المتوسط، تظهر بلاد الإغريق عبارة عن شبه جزيرة كبيرة تمتد جنوب شرق أوروبا متوجلة جنوباً في عرض البحر، بين بحر إيجا والبحر الأدربيطي. لكن العالم الإغريقي القديم يتجاوز هذا المجال القاري، كما سلف الذكر، ليشمل المجموعة الكبيرة من الجزر المنتشرة في بحر إيجا – الأربعينيات الثلاث – بما في ذلك جزيرة قبرص، إضافة إلى سواحل آسيا الصغرى والبحر الأسود، ثم جنوب إيطاليا، وجزر غرب البحر الأبيض المتوسط.

فقرب بلاد الإغريق من مناطق الكثافة السكانية في آسيا جعلها قبل كل شيء تتأثر على مستوى التعمير البشري، حيث شكلت قبلة هجرات بشرية كثيرة من المناطق المجاورة، استقر بعضها في هذه البلاد، فساهم في تشكيل المجموعة البشرية التي ستفرز الحضارة الإغريقية. ومن المتوقع عليه أن الموجات البشرية التي عمرت بلاد الإغريق منذ عصر البرونز تعود أصولها في الغالب إلى آسيا.

وهذا الموقع، الذي جعل بلاد الإغريق قريبة من معاشر الحضارات القديمة المتقدمة (مصر، فينيقيا، خيتا (أي سوريا)، بلاد ما بين النهرين) سهل عليها الاحتكاك بهذه الحضارات منذ وقت مبكر، والتآثر بها بشكل مباشر أو غير مباشر: مثل التأثر بمبادئ فن النحت المصري في الفترة المبكرة من العصر الهليني، واقتباس عمارة الأبهاء والأعمدة من المعابد المصرية في عصر الطغاة، وتأثر حضارة كريت والحضارة الهلينية بديانات وألهة حضارات الشرق القديم...

وأثر الموقع أيضاً على بلاد الإغريق بشكل ايجابي اقتصادياً، وخاصة في المجال التجاري: ذلك أن وجود البلاد على الطرق البحرية النشيطة بصفة عامة، ووجودها على طريق السفن التجارية الفينيقية على الخصوص، جعل الإغريق يستفيدون كثيراً من المبادرات، ويتأثرون بالفينيقيين في أساليب التجارة، كما أخذوا عنهم حروف الهجاء منذ القرن 8 ق.م.

وامتد تأثير الموقع ليشمل المجال السياسي. فعلاوة عن نظام الحكم الملكي المعتمد بداية في الحضارات المبكرة، انفتح هذا النظام على مظاهر الملكية الهلينستية الشرقية بعد تفكك إمبراطورية الإسكندر المقدوني؛ وكان النفوذ السياسي المصري قبل هذا قد امتد إلى بحر ايجا في عهد الفرعون تحتمس الثالث (منتصف القرن 15 ق.م) حسب نقش من معبد الكرنك ؛ كما تعرضت بلاد الإغريق لأطماع الإمبراطورية الفارسية في أواخر القرن 5 ق.م، مما أفضى إلى ما يعرف تاريخيا باسم الحروب الميدية. فليس من المبالغة إذا قلنا إن موقع بلاد الإغريق لعب دورا أساسيا في التطور الذي عرفته الحضارة الإغريقية طوال فترة التاريخ القديم.

وبالنظر إلى الموضع، يمكن استخلاص أن المقومات والإمكانات التي تميزت بها بلاد الإغريق لعبت دورا مُحدِّدا في الاختيارات التي تبناها أهل البلاد منذ الفترة المبكرة. ذلك أن التضاريس المسيطرة على الأرض ببلاد الإغريق كان لها تأثير كبير في حياة الإنسان الإغريقي في شتى المجالات: فالبلاد تتميز بسيطرة الجبال المتوسطة الارتفاع والممتدة في كل الاتجاهات، وبقلة السهول الكبيرة، وتناثر السهول الصغيرة، وسيادة تربة فقيرة جيرية وكلسية وطينية؛ فضلا عن الأودية الضيقة المحصورة بين سفوح الجبال، وقلة الأنهر وانتشار الرؤوس البحرية والخلجان الطويلة، وكثرة الجزر. فترت بالضرورة عن هذا الوضع الجغرافي بروز مظاهر متعددة طبعت التاريخ الإغريقي بصفة عامة: فالسلسل الجبلي الممتد في كل الاتجاهات جزأٌ للبلاد إلى مناطق ضيقه منعزلة عن بعضها، وجعلت المواصلات البرية صعبة. والأنهار القليلة القصيرة، التي يجري جزءها الأكبر بين المرتفعات، تميزت بسرعة الجريان شتاءً والجفاف صيفاً في الغالب، وضيق مجاريها، وعدم انتظام فيضاناتها، زادت من حدة صعوبة الاتصالات بين أجزاء بلاد الإغريق في ظل الفقر إلى شبكة طرقية متينة؛ مما شجع المدن وسكان المناطق البعيدة على الإقبال منذ وقت مبكر على البحر واتخاذه وسيلة أساسية للاتصال فيما بينهم.

فبسبب التضاريس ظهرت بلاد الإغريق مجزأة إلى مناطق شبه مستقلة عن بعضها. وشكلت هذه المناطق أوطنان مجتمعات صغيرة لكل منها مساحة محدودة، وساكنة قليلة لا ترتبط بغيرها في الولاء لدولة أو لوطن واحد، وعاشت وفق قوانينها الخاصة ونظام حكمها الخاص. فكان من آثار هذا الواقع عدم ظهور دولة مركزية واحدة تضم جميع الإغريق، حيث فضلوا منذ البداية العيش في وحدات سياسية متصارعة فيما بينها، وكانت أساس تطور نظام البوليس Polis الذي يترجم تجاوزاً بالمدينة الدولة أو دولة المدينة.

وقد انعكست تضاريس البلاد، وفقر التربة، ونوعية المناخ، على اهتمامات السكان وحياتهم الاقتصادية. فالمناخ مناخ متوسطي، مُتميّز بالجفاف والحرارة صيفاً، وبالدفء والرطوبة في فصل الشتاء. والرياح معتدلة في فصل الربيع والصيف، بينما تكون عاصفية في فصلي الخريف والشتاء. وفي ظل هذه الظروف تعطى بعض الإغريق لزراعة عرفت انتشاراً كبيراً في بلادهم، وخاصة منها زراعة أشجار الزيتون التي استخلصت منها



كميات مهمة من الزيت، وزراعة الكروم التي أفادت في إنتاج كميات كبيرة من الخمور؛ حيث كان الفائض من الخمور والزيت يُصدر إلى الخارج في جرار، مما ساهم في تطور صناعة الخزف بشكل كبير. وتم أيضاً إنتاج التين بكميات مهمة، باعتباره مادة أساسية في التغذية لدى قدماء الإغريق. أما إنتاج الحبوب (القمح خاصة)، الركيزة الأساسية في التغذية، فكان غير كاف، وظل يمثل معضلة في العالم الإغريقي؛ إذ وجب استيراده من العالم الخارجي. وبالموازاة لهذا النشاط الزراعي، اتجه الإغريق الآخرون لممارسة تربية الماشية (الضأن والماعز) في المناطق الجبلية والمرتفعات. لكن أمام تزايد عدد السكان بصفة عامة، بقيت هذه الأنشطة الاقتصادية غير قادرة على الإيفاء بحاجيات المجتمع الإغريقي الغذائية، الأمر الذي دفع بالكثير من أبنائه إلى البحث عن مناطق جديدة للتوسيع في الخارج.

في مقابل مختلف هذه السلبيات، تجدر الإشارة إلى أن طبيعة أرض بلاد الإغريق وفرت لسكانها الكلس والرخام للبناء، ووفرت الطين الجيد بكثرة لصناعة الخزف الذي لعب دوراً كبيراً في التجارة. والأخشاب التي وفرتها الغابات في البداية تضاءل إنتاجها، ووجب اقتناطها من آسيا الصغرى ولبنان. أما المعادن، فباستثناء الفضة في مناجم إقليم أتيكا، فإن البرونز الذي مثل معيناً مهماً في صناعة الأسلحة والأدوات، أمكن اقتناطه من المناطق المجاورة عبر التجارة؛ حيث تم جلب النحاس من قبرص، بينما القصدير وجبل اقتناطه من عند الفينيقيين ومن غرب البحر الأبيض المتوسط.

والجدير بالذكر أن تضاريس البلاد وما ارتبط بها من نقص في المواد الغذائية وجه أنظار الإغريق منذ وقت مبكر نحو البحر. الواقع أن البحر شكل عنصر الوحدة الجغرافي في عالم الإغريق: لقد مثل عنصر وصل أكثر مما كان عنصر فصل بينهم. وقد ساعدت سواحل بلاد الإغريق الممتدة، والمتميزة بكثرة خلجانها المتوجلة في اليابسة، وكثرة الرؤوس المتوجلة في البحر، وكثرة الجزر، على الإقبال على البحر بشكل متزايد، إما للاتجار أو القرصنة أو الهجرة، حتى أصبح الإغريق شعباً بحرياً بامتياز، يعتمد على البحر في تحقيق ما عجزت اليابسة عن توفيره، من قبيل الأمان الغذائي والهيمنة الاقتصادية، والتتوسع بحثاً عن الأراضي الزراعية والمنافذ التجارية... ولم تكن الملاحة تمارس طوال السنة، إذ تمارس في فصل الربيع والصيف، بينما في فصل الخريف تصبح خطيرة، حيث يضطر البحارة لسحب سفنهم من الخدمة؛ وهي مناسبة لإجراء الإصلاحات استعداداً لموسم الإبحار المقبل. ومن المعلوم أن الملاحة استفادت من حركة الرياح البحرية التي أكملت الدورة التجارية ذات الأهمية في تاريخ اقتصاد البحر الأبيض المتوسط.

من هذا المنطلق يتضح دور خصائص بلاد الإغريق كأحد أهم العوامل في تشجيع الإغريق على الانفتاح والاستيطان خارج بلادهم، في سواحل المناطق المجاورة لهم شرقاً في مرحلة أولى، ثم في سواحل البحر الأبيض المتوسط بشكل عام في مرحلة ثانية، ضمن ما عُرف تاريخياً بحركة الاستيطان الإغريقي.

مراحل تاريخ الإغريق:

منهجياً يقسم تاريخ الإغريق إلى عدة مراحل تيسيراً للدراسة والبحث، علماً بأن المراحل التي سبقت المرحلة الهلينستية هي التي تمثل الحضارة الإغريقية بمميزاتها. سبق لنا تقديم جدول يبين مراحل تطور التاريخ الإغريقي، والمعلومات المعاونة توضح ملامح كل مرحلة على حدة:

المرحلة 1 : وهي مرحلة طويلة تمتد من الأصول إلى غاية 1200 ق.م، وتسمى بالفترة المبكرة من التاريخ الإغريقي أو فترة ما قبل العهد الهليني. شهدت أحداثاً كثيرة، وحضارات عديدة تسمى أحياناً بالحضارات الإيجية،

التي تتمثل في الحضارة الكوكладية والمينوية والموكينية. وتميز بقلة المعلومات حولها، حيث شكل البحث الأثري الوسيلة الأساسية في الكشف عن ملامحها.

المرحلة 2 : تمتد من 1200 ق م إلى حوالي 800 ق م، وسميت بعدة أسماء: العصر الهوميري / الفترة أو القرون الغامضة / العصر الوسيط الإغريقي (حسب فولتير في ق 18). يلفها غموض كثيف بسبب ندرة المصادر، حيث تعتبر أشعار هوميروس على الخصوص مادة أساسية لاستجلاء معالمها. وشهدت أحداثاً مهمة، أبرزها الاضطراب الكبير الناتج عن هجوم الدوريين واتكمال العناصر البشرية المكونة للشعب الإغريقي، وانخفاء الكتابة، وانطلاق حركة الاستيطان الأولى. وبدأت خلال هذه الفترة الحضارة الإغريقية تتبلور وتتخذ شكلها المعروف، مع تبلور نظام البوليس الإغريقي.

المرحلة 3 : تبدأ من 800 ق م إلى حوالي 490 ق م، أي بداية الحرب المقدونية (بين الفرس والإغريق). وتعرف عند علماء الآثار باسم الفترة الأرخيكية / العتيقة، وتسمى كذلك بالفترة المبكرة من العصر الهليني. عرفت عودة الكتابة. وشهدت تحولات كبيرة في جميع الميادين؛ حيث أفضت في ظل الحراك الداخلي إلى تبلور النظام الديمقراطي.

المرحلة 4 : من 490 ق م إلى موت الإسكندر الأكبر المقدوني سنة 323 ق م، وتسمى بالفترة الكلاسيكية / العهد الثاني أو الفترة الحديثة من العصر الهليني. وخلالها شمل الازدهار جميع الميادين. من أبرز أحداثها الحروب المقدونية، والحروب البيلوبونيزية التي قسمت الإغريق إلى أحلاف واتحادات متاخرة فيما بينها، مما زاد من إضعاف الإغريق في وجه التحدي الجديد المتمثل في التوسع المقدوني بزعامة الإسكندر الأكبر.

المرحلة 5 : تبدأ من 323 ق م إلى سنة 146 ق م أي الغزو الروماني. وتسمى بالفترة الهلينستية المتاخرة. وهي فترة امتناع الحضارة الإغريقية بالمظاهر الحضارية الشرقية، وكانت حضارة مختصرة: فيها عناصر إغريقية، خاصة اللغة، وعناصر شرقية، خاصة الديانة وشكل الحكم.

المرحلة 6 : مرحلة التبعية أو الخضوع للاحتلال الأجنبي ، بدأت من 146 ق م، واستمرت طيلة فترة الحكم الروماني والبيزنطي، ثم الحكم العثماني.

III- حضارات الفترة المبكرة

الكشف عن السوابق الحضارية أو الحضارات المبكرة في اليونان والعالم الإيجي:

في عصر النهضة (ق 15م) رجع الأوروبيون من جديد إلى التراث الإغريقي والروماني، وصار من المسلم به طوال القرون اللاحقة (إلى غاية ق 19م) أن التاريخ الإغريقي يتوقف عند القرن 5 ق م (أي الفترة الكلاسيكية) أو قبله بعض الشيء. لكن الكثير من النصوص الإغريقية كانت تتضمن أخباراً ووقائع موغلة في القدم: فالعديد من المؤرخين القدماء ذكروا أن أقدم سكان اليونان كانوا يسمون بالبلسجيين. وتحدث هوميروس عن وقائع من أواخر الألف الثانية، ضمنها معطيات عن عالم الإغريق، وعن الكيانات البشرية والسياسية: مثل موكيتنيا وثيرانس ...، وحرب طروادة؛ وذكر في الإلإيادة أن أصل البلسجيين من تساليا، وهم قبائل ذات رماح جيدة. وأورد هيرودوت بدوره معلومات قديمة ، حيث ذكر ان سكان أثينا ليسوا بلاسجيين، إنما تخلوا عن الأرض أسفل الأكروبول لهم ثم استعادوها منهم بعد طردتهم إلى لمنوس). وأشار ديدور الصقلي إلى أن الحروف الفينيقية لدى الإغريق سميت بلاسجية، لأن البلسجيين كانوا أول من استعملها. وتناول بوزانياس Pausanias في كتابه "وصف بلاد الإغريق" جغرافية البلاد بدقة، ومعالمها المدنية والعديد من أسماء المدن القديمة موكيتنيا ثيرانت اسبرطة. لكن الباحثين في عصر النهضة اعتبروا أن العالم الذي تحدث عنه هوميروس عالم خيالي، وأن إشارات المؤرخين القدماء إلى البلسجيين هي محاولة منهم لملء الفراغ الذي كان يحيط بالتاريخ الإغريقي. وعلى هذا النحو شكى الأوروبيون فيما ورد لدى هوميروس ولدى غيره؛ ورفضوا القبول بفكرة إمكانية وجود تاريخ سابق طواه النسيان. فكان من نصيب علم الآثار الكشف عن تاريخ إغريقي أقدم بكثير مما كان يتصوره العلماء الأوروبيون، بما فيهم فولتير Voltaire، الذي أطلق اسم العصر الوسيط الإغريقي على الفترة الغامضة.

اكتشاف الحضارات المبكرة:

تعتبر اكتشافات الألماني هنريك شليمان Heinrich Schleimann ذات أهمية كبيرة، باعتبارها مهدت الطريق في وجه الباحثين، ودارسي التاريخ الإغريقي، للكشف عن التاريخ اليوناني المبكر. وقد وردت اكتشافات شليمان في إطار تاريخي خاص: حتى القرن 18م، ظل الاعتقاد كما سلف الذكر بأن الفترة الإغريقية تمتد فقط على مدى 8 قرون ق. م. وأعقب القرن 18م تطور علم الآثار، حيث تم اكتشاف حضارات ومكتشفات أخرى في إيطاليا ومصر وبلاد الرافدين: حيث كُشف النقاب عن بعض المدن، مثل هركولانوم، بومبي، نينوى، خرسناد، بيرسوبوليس وغيرها. كما فُكت رموز بعض الكتابات القديمة: الهiero-غليفية المصرية 1822م، والكتابة المسماوية 1850م.

أما شليمان، الذي لم يكن عالماً وإنما تاجراً، فقد حصلت لديه قناعة راسخة بما قرأه عند هوميروس في الإلياذة والأوديسيا. وحاول إثبات حقيقة ما ظل يعتبر خيالاً. فانطلق للكشف عن المدن التي وردت في قصة هوميروس في نفس الأماكن التي تمكّن من تحديدها من خلال رواية هوميروس والوصف الذي ورد لدى بوزانياس. وجاءت نتائج أعمال التنقيب مدهشة: حيث تمكّن سنة 1870 من اكتشاف مدينة طروادة على تل حصارلك (قرب مضيق الدردنيل بتركيا). وفي سنة 1876 اكتشف مدينة موكييناي (مدينة الملك أكممنون)، وهي أهم المدن التي انطلق منها الجيش الإغريقي الذي هزم طروادة حسب هوميروس. وعثر في الموقع على هيكل بشريّة وفخار وأقفال ذهبية. وفي سنة 1884 اكتشف مدينة ثيرانس Tyrins التي لا تقل أهمية عن الموقع الآخر. حيث كشف عن بقايا قصرها الكبير، وأسواره الضخمة التي ورد وصفها في أشعار هوميروس.

وبعد هذا الانجاز التاريخي، فكر شليمان في جزيرة كريت، التي وُصفت في الإلياذة بالجزيرة ذات 90 مدينة ومقر الملك مينوس Minos: "في عرض البحر توجد أرض جميلة بقدر ما هي غنية، أرض تعزلها الأمواج تلك هي أرض كريت ذات الرجال الكثُر والتسعين مدينة (...)"، من بينها كносوس وهي مدينة عظيمة كانت للملك مينوس الذي كان الإله زيوس Zeus العظيم يوحى له بأسرار كل تسع سنوات". الواقع أن أحد التجار الكريتيين كان قد عثر منذ 1877 على موقع كносوس عاصمة كريت القديمة. فرغ ب Shimian في إجراء حفريات في هذه الجزيرة. غير أن الظروف لم تسمح له بذلك، وتوفي سنة 1898 بعدما أضاف أكثر من 1000 سنة إلى التاريخ الإغريقي.

من المعلوم أن اكتشافات شليمان لم تكن كلها حاسمة ودقيقة، إذ اعتبرتها بعض الأخطاء كطريقة الحفر المتسرعة، وإخفاء المجوهرات الثمينة. ومن أخطائه العلمية استخلاص أن مدينة طروادة التي تحدث عنها هوميروس توجد عند المستوى 2، بينما تبيّن لاحقاً أنها توجد عند المستوى 7 بين مستويات الموقع 9.

وكان الكشف أثرياً عن مدينة كносوس من نصيب الانجليزي آرثر إيفانس Artur Evens؛ وهو رجل أعمال مهم بالحضارات القديمة. زار مدينة موكييناي في 1883، واقتنع بأن أصل الحضارة الموكيينية من جزيرة كريت؛ ومن ثم انطلق للحفر في موقع كносوس. فبرزت النتائج مثيرة جداً: حيث عثرَ على قصور ومقابر ورسوم جدرانية تمثل الحياة الكريتية. واكتشف حضارة متقدمة جداً، ترجع بدايتها إلى 3000 ق.م. وظل عمله منطلقًّا جميع دراسات الباحثين في تاريخ الإغريق، وخاصة الحضارة الكريتية، التي أطلق عليها اسم الحضارة المينوية، نسبة إلى مينوس الملك الأسطوري. ونشر إيفانس نتائج حفائره في أربع مجلدات ما بين 1921-1936 م.

بعد النتائج المحصل عليها على يد شليمان وإيفانس، اتسع نطاق البحث والتنقيب لاحقاً، ولا زال مستمراً. وأصبحت الغاية ليس الكشف عن الجديد فقط، وإنما التدقّيق في التاريخ الإغريقي. وكان من بين أهم ما تم الكشف

عنه في بلاد الإغريق، وساعد على دراسة الحضارة الإغريقية في تاريخها المبكر، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، الألواح المكتوبة، التي أبانت عن استعمال قدماء الإغريق (المينوبيين والموكينيين) كتابة متميزة خاصة بهم، سميت بالكتابة الخطية، التي تم التمييز ضنها بين الكتابة الخطية A التي استعصى فك شفرتها على العلماء، والكتابة الخطية B التي فكّت رموزها وصارت مقرودة منذ 1952 بفضل العالم فنطريس Michael Ventris.

1- الحضارة الكوكладية:

مكنت الاكتشافات الأثرية في عالم بحر إيجة، وموقع جزيرة كريت، وببلاد اليونان القاري، من رصد مظاهر حضارات إغريقية قديمة. وعلى ضوء الاختلاف والتتنوع والتطور، الذي أبانت عنه البقايا الأثرية، تم التمييز بين:

- الحضارة الإيجية أو الكوكладية، بجزر الكوكلايس.
- والحضارة المينوية أو الكريتية، بجزيرة كريت.
- والحضارة الهلادية أو الموكينية، ببلاد اليونان القاري.

لكن إن كانت الحضارة المينوية والحضارة الموكينية قد اكتست كل منهما ملامح خاصة بها، تسمح بالحديث عنها مستقلة، فإن الحضارة الإيجية لم تختلف في مظاهرها عن الحضارتين الأخريتين سوى في عهدها الأول، أي العصر الكوكلادي القديم 3200 إلى 2000 ق. م. والواقع أنه لا توجد أصلاً معلومات وافرة عن هذه الحضارة التي ارتبطت بجزر الكوكلايس. فجزر الكوكلايس هي مجموعة الجزر الإغريقية المتجمعة في جنوب بحر إيجة (حوالي 2200 بين جزيرة ورأس صخري)، والقليل منها مأهول بالسكان (33 حوالي جزيرة). واسمها مرتبط بانتظامها في شكل دائرة حول جزيرة ديلوس Délos المقدسة لدى الإغريق.

تحتل الجزر مكانة جغرافية متميزة، تعتبر صلة وصل بين أوروبا وآسيا الصغرى، وبين أوروبا والشرق الأوسط، وبين أوروبا وإفريقيا. ولما كانت الملاحة تعتمد نظام المساحلة، برزت هذه الجزر كمحطات أساسية للتواصل ونقل البضائع. ومن تم صارت التجارة من أهم أنشطتها الاقتصادية، ومصدر خطر عليها في نفس الوقت: حيث كانت السيطرة عليها تضمن الهيمنة والتحكم في الطرق التجارية والإستراتيجية في بحر إيجة.

عموماً يُقسم عهد الحضارة الكوكلادية - كغيره - إلى 3 عصور: قديم / وسيط / حديث. غير أن هذه الحضارة لم تتميز كحضارة مستقلة ومؤثرة خارج مجالها الجغرافي سوى في عصرها القديم، حيث ارتقى عالم الآثار الإغريقي Christos Tsountas، بناء على الآثار المكتشفة في عدد من جزر الكوكلايس، أن هذه الجزر اندمجت في وحدة ثقافية خلال الألف III ق. م. وذهب الباحثون بعد ذلك إلى تقسيم العهد الكوكلادي القديم إلى

3 عصور، تسمى باسم مواقعها، وهي عبارة عن ثقافات متكاملة فيما بينها:

- العصر الكوكلادي القديم 1 (2800-3200) ثقافة Grota Pelos

- العصر الكوكладي القديم 2 (2300-2800) ثقافة Keros-Syros عهد الأوج .
- العصر الكوكладي القديم 3 (2300-2000) ثقافة Phylakopi

بدأ العصر الكوكладي القديم عامة بالانتقال من العصر النيوليتي (أي العصر الحجري الحديث) إلى عصر البرونز منذ 3200 ق. م. فتبين بهذا أن الحضارة الكوكладية أقدم من الحضارة المينوية في جزيرة كريت. ويرى الباحثون أن الحضارة المينوية في بدايتها تأثرت بحضارة الكوكلاديس: حيث عُثر في جزيرة كريت على عدد من التماضيل الكوكладية الطابع؛ ويظهر أن الصناع المحليين في كريت قدّروا التقنيات الكوكладية في صناعاتهم حسب القطع الأثرية المكتشفة في موقع هاجيا فوتيا Aghia Photia وموقع أركان Archanes . وما يدل على حيوية الحضارة الكوكладية : العثور في البرتغال، وعند مصب نهر الدانوب، على عدد من التماضيل الكوكладية المشهورة المصنوعة من الرخام وحجر الأبسديان (= السبج)؛ والعثور كذلك في إقليم أتيكا (في مقبرة Aghios Kosmas) على قبور من النموذج الكوكладي، تحتوي أثاثاً كوكلاديا . ويعتبر هذا المعطى دليلاً على وجود مستوطنة كوكладية في إقليم أتيكا، أو علامة على وجود نسبة كبيرة من السكان من أصل كوكلادي، أو يفيد على الأقل بوجود تأثير كوكلادي أكيد.

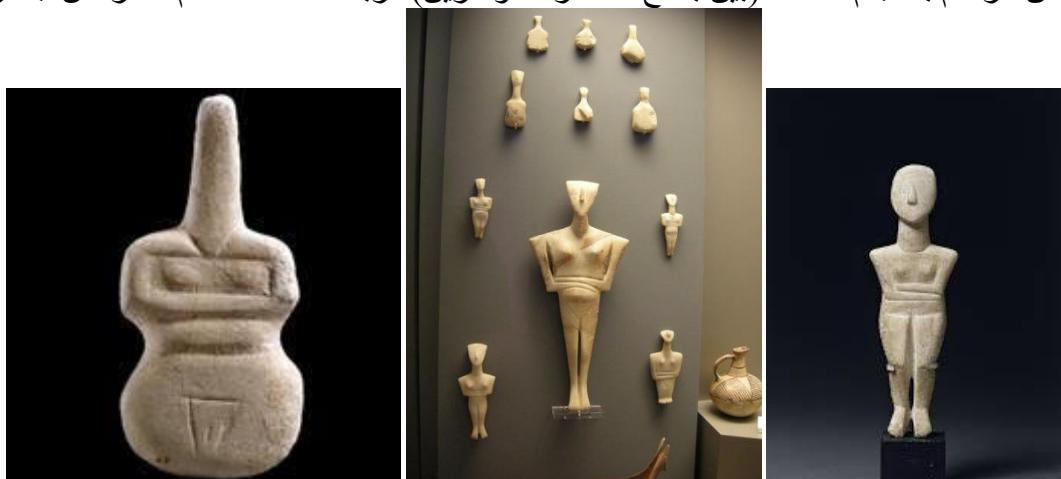
عموماً، يعتقد أن الانتقال من النيوليتي إلى عصر البرونز تم فجأة، بسبب هجرة جديدة على الأرجح، وفدت من شبه جزيرة آسيا الصغرى. وتقييد الأبحاث التي أجريت على هيكل عظمية مستخرجة من قبور هي عبارة عن صناديق حجرية، بحدوث تطور كبير في ظروف عيش السكان مقارنة بالعهد النيوليتي: حيث لوحظ تراجع هشاشة العظام وان بقيت بعض الأمراض المتعلقة بالأسنان والمفاصل؛ كما تم استنتاج حصول تطور ملحوظ في أمد الحياة بلغ 40-45 سنة للرجال / 30 سنة للنساء . والغالب على الظن أن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة ظل تقريباً على ما كان عليه الأمر في النيوليتي: حيث تتولى المرأة أعمال البيت وبعض الأشغال الفلاحية البسيطة، بينما يتولى الرجل الأعمال التي تتطلب جهداً كبيراً، كالزراعة / الصيد / الصناعة / التجارة .

قام اقتصاد هذه الحضارة على الزراعة، التي اعتمدت الأنشطة المشهورة في حوض البحر الأبيض المتوسط (زراعة الحبوب خاصة الشعير، الكرمة الزيتون)؛ وعلى تربية الماشي، التي ارتكزت أساساً على الماعز والأغنام والخنازير، والقليل من الأبقار كما هو الشأن حالياً . وكان الصيد يكمّل مصادر الغذاء . وبرز الاهتمام بالصناعة أيضاً، حيث مكنت الأخشاب، التي كانت موجودة بوفرة، من صناعة السفن، فضلاً عن استغلالها في بناء سقوف المنازل . وتقييد نتائج الأبحاث المرتبطة بالمرحلة أنه كان يوجد في الكوكلاديس حرفيون وصناع (مستخرجو المعادن / الحدادون / صناع الخزف / النحاتون)، لكن من الصعب البت فيما إذا كانوا يعيشون فقط من علهم الحرف (أي وجود التخصص الضيق في العمل) . ويبقى حجر الأبسديان المادة المسيطرة في صناعة

الأدوات حتى بعد تطور التعدين. وقد تم العثور على أدوات من برونز خشن (هو مزيج من النحاس ومعدن الزرنيخ). أما القصدير، الذي لم يُعرف مكان استيراده، فلم يدخل الجزر سوى في وقت متأخر، بعد نهاية عهد أوج حضارة الكوكلاديس. وبالنسبة للمنتجات البرونزية (البرونز المخلوط بالقصدير) فيظهر من خلال التركيبة الكيميائية لمادة البرونز أنها كانت ترد من إقليم طروادة، مما يفيد بوجود مبادرات تجارية بين الجزر ومدينة طروادة التي كانت توجد عند مضيق الدردنيل.

أما بالنسبة للتجارة، فقد اشتهر سكان الكوكلاديس بكونهم بحارة وتجاراً بفضل موقع جزرهم، ويظهر أنهم صدرّوا أكثر مما استورّدوا من المنتجات: إذ تؤكّد قطع الخزف التي تم العثور عليها في مختلف المراكز الكوكلادية وجود طرق تجارية بين اليونان القاري وكريت، مروراً بجزر الكوكلاديس (خاصة الغربية منها).

عموماً يمكن القول إن جزر الكوكلاديس تمكّنت في هذا العصر من فرض سيطرتها على منطقة بحر إيجة، والإشعاع بحضارتها على المناطق المجاورة مثل كريت واليونان القاري وغيرهما. وتُعرّف هذه الحضارة بنوع الفخار الذي أنتجته، وكان مزييناً بأشكال هندسية بسيطة تم حفرها على جانب القطع الفخاري، أو كانت تشكّل على عجينة الفخار قبل حرقها؛ ومن أبرز نماذج هذا الفخار مجموعة القطع التي عثر عليها في سيروس Syros، وقد رُيئت بنقوش تعكس أشكال السفن التي استعملت آنذاك في النشاط البحري. ثم ظهر في أواخر هذا العصر الكوكلادي نوع من فخار مطلي ذو أشكال متطرفة، وأنواع أفحمر من الأواني التي صنعت من الرخام. إضافة إلى تماثيل من الرخام . وتبقى تماثيل السيدات من أهم مخلفات هذا العصر. وقد تميزت بوجوهها المسطحة، باستثناء نتوء الأنف، بينما يظهر الجسم على شكل آلة الكمان، والصدر قليل البروز، تتشابك أسفله اليadan. صنعت هذه التماثيل من الرخام بأحجام مختلفة (بين بعض سنتيمترات ومترين)؛ ربما كانت تستخدم لأغراض جنائزية.



أما المساكن فشيّدت من أحجار متراصّة، وأضيفت إليها أحياناً بعض التحسينات. والقبور تظاهر عبارة عن صناديق مبنية من الحجارة، أو لحود كبيرة منبسطة.

تنتهي الفترة الأصلية من الحضارة الكوكладية مع نهاية العصر الكوكладي القديم: خلال العصر الكوكладي الوسيط (2000 – 1700 ق.م) خضعت الجزر الكوكладية لتأثيرات حضارة كريت، تبعاً لأساليب تزيين الفخار حيث ظهر الطيور والنباتات المائية وغيرها؛ وفي العصر الكوكладي الحديث (1700- 1100 ق.م) خضعت الجزر لتأثيرات الحضارة الموكينية؛ ثم ارتبطت بعد هذا بمظاهر الحضارة الإغريقية العامة (منذ القرن 12 ق.م).

2- الكريتيون أو المينويون: تاريخ وحضارة:

اقتضى رصد تاريخ جزيرة كريت، ومظاهر الحضارة المينوية، ملاحظة التطورات الكبرى التي خضعت إثراها البلاد لتحولات مهمة وأحداث مميزة، كانت أساساً لتقسيم هذا التاريخ إلى حقب وفترات. لكن تجدر الإشارة إلى أن التواريχ المعتمدة في التحقيق وضبط الأحداث، تبقى تواريخ تقريبية، قابلة للتغيير على ضوء حصول اكتشافات جديدة. وإن كان هناك اتفاق بين الباحثين حول المحطات الرئيسية في التاريخ المينوي، فإنهم يختلفون في منهجية التحقيق: حيث يبرز تحقيق كلاسيكي، مبني على تقسيم ثلاثي عند كل مستوى من التحقيق، سبق وأن انتقده الباحث فينلي في كتابة *Les premiers temps de la Grece*؛ إذ يعتمد هذا التقسيم في تحديد العصر أو الفترة استناداً إلى أحد التطورات الأساسية دون الأخذ بعين الاعتبار المنعرجات الحضارية الكبرى وما ترتب عنها من نتائج، كما هو الشأن بالنسبة للنموذج التالي على سبيل المثال:

عصر النحاس من 3000 إلى 2400 → بداية عصر البرونز	أسفل 2800-3000 ← 2400-2800 أعلى 2100-2400	المينوي القديم
عصر القصور الأولى من 2100 إلى 1750	أسفل 1900-2100 ← 1750-1900 أعلى 1580-1750	المينوي الوسيط
عصر القصور الثانية من 1700 إلى 1400 → السيطرة الموكينية	أسفل 1450-1580 ← 1400-1450 أعلى 1100-1400	المينوي الحديث

في المقابل، يمكن اعتماد تقسيم آخر يأخذ بعين الاعتبار المظاهر الحضارية والتحوّلات الكبرى، ويشمل 5 مراحل:

1. العصر الحجري الحديث والعلاقات الأولى مع الخارج ~ 3000-6000

2. العصر المينوي القديم وظهور المعادن 3000-2100

3. نهوض الارستقراطية التجارية (الثلاثياتية) الكريتية 2100-1750

4. أوج الثلاثقراطية المينوية 1450-1750

5. أ Fowler الحضارة المينوية 1400-1450

1- العصر الحجري الحديث والعلاقات الأولى مع الخارج ~ 6000-3000 :

يبدو أن جزيرة كريت لم تكن معمرة خلال العصر الحجري القديم والوسطى؛ وبدأ تعميرها في العصر الحجري الحديث، الذي استغرق مدة طويلة حسب سماك طبقه الأثرية التي تبلغ 10 أمتار في بعض المواقع. ومن جملة مظاهر هذا العصر ما يلي: تقيد آثار المساكن أنها كانت في البداية ذات شكل دائري، ومرصفة بصخور ضخمة مسطحة، وشيدت جوانب المساكن والأسقف من التراب المدكوك وأغصان الأشجار. ثم تطور هذا السكن تدريجياً باستعمال مواد صلبة وبتنوع شكل البيت. والأدوات صنعت من الحجارة الصقلية ومن عظام وفرون الحيوانات. ثم برز استعمال حجارة شبه ثمينة، مثل حجر الأبسديان الصلب الموجود في جزيرة ميلوس خصيصاً. والفالخار ملوّن باليد، ويمتاز بحزووز على جوانبه في شكل نتوءات أو خطوط متعرجة. وعُثر أيضاً على تماثيل لما يسمى بإلهة الخصب ذات طابع شرقي: عبارة عن تمثال أنثى متضخمة الصدر وغليظة الأرداف.

استناداً إلى هذه المعطيات أمكن استنتاج أن جزيرة كريت كانت تربطها علاقات مع العالم المجاور؛ حيث وجوب استيراد حجر الأبسديان من جزيرة ميلوس عبر البحر؛ وجود إلهة الخصب يحيل على علاقات واتصالات بين كريت وآسيا الصغرى على الخصوص، التي كانت تعرف تلك الإلهة. وقد ارتأى إيفانس أن سكان كريت ربطتهم علاقات مباشرة مع مصر منذ هذه الفترة، لكن الباحثين رجحوا أن العلاقات مع مصر جاءت متأخرة عن العصر النحولي، ولم تبدأ إلا في العصر المينوي القديم الأوسط.

2- العصر المينوي القديم وظهور المعادن 3000-2100

بدأ في هذه الفترة استعمال النحاس لصنع بعض الأدوات، لكن من دون التخلص من استعمال الحجارة أيضاً، مما سمح بتسمية هذا العصر بال Kakoliyi. وقد استغرق هذا العصر فترتي العهد المينوي القديم الأسفل والأوسط (3000-2400 ق.م). وبعد هذه المرحلة من التطور بدأ الكريتيون يخلطون النحاس بالقصدير لصنع البرونز. واستمر عصر البرونز حتى الغزو الدوري حوالي 1200 ق.م، حيث بدأ عصر الحديد.

اختلف العلماء حول المنطقة التي تعلم منها الكريتيون صناعة التعدين: مصر أو آسيا الصغرى؟ يميلون إلى القول بوجود علاقات أوثق في هذه الفترة مع سواحل الأناضول: وذلك نظراً لقربها، ولأن نسبة 10% من الجماجم في الكريت كانت لجنس آسيوي منتشر في جزر الكوكلاديس وآسيا الصغرى. مهما كان الأمر، فإن جزيرة كريت بدأت في هذه الفترة تأخذ الصدارة تدريجياً في العالم الإيجي على حساب جزر الكوكلاديس، وذلك بفضل البحرية

الكريتية الناشئة؛ حيث كانت السفن تتوجه نحو جزر الكوكلاديس لاقتناء الأبسديان والذهب والفضة، وتتجه أيضاً إلى قبرص لجلب النحاس.

ونتيجة لهذه التجارة تطورت الموانئ الكريتية الشرقية (مثل بلاي كسترو) والشمالية الشرقية (مثل موخلوص)، بفعل القرب من سواحل آسيا الصغرى. أما المنطقة الوسطى من الجزيرة، بما في ذلك كносوس، فاستمرت متخالفة، تعيش مرحلة انتقالية من العصر الحجري إلى العصر المعدني. لكن هذه الوضعية ستتغير تدريجياً تماشياً مع تعميم استعمال البرونز وانتشاره في الحوض الشرقي، باعتبار أن ضرورة البحث عن معادن جديدة، وخاصة منها القصدير، جعلت الملاحين الكريتيين يوجهون أنظارهم نحو الغرب، إلى صقلية والبحر الأدربياتي، حيث كانت تصل السفن والقوافل المحمولة بالقصدير الوارد من إسبانيا والكورنوال (=جنوب إنكلترا)، ومعادن أخرى من أوروبا الشمالية والوسطى. و كنتيجة لهذا بدأت المنطقة الوسطى من كريت تتطور على حساب الجزء الشرقي؛ وتشكل منذ ذلك الوقت طريق بري بالجزيرة يربط بين كносوس في الشمال وفايستوس في الجنوب؛ لكن هذا الطريق لم يعرف أقصى تطور له سوى في المراحل اللاحقة.

3- نهوض الاستقرارية التجارية (الثلاثقراطية) الكريتية 1750-2100

كان انتشار استعمال البرونز دعامة أساسية للدور الذي ستلعبه كريت في العالم الإيجي وحوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي. إذ سرعان ما أصبحت مركزاً تجارياً لتجاريين مهمين: بين الحوضين الشرقي والغربي من جهة، وبين الشمال والجنوب (في اتجاه مصر) من جهة ثانية. وفي هذه الفترة استطاعت كريت التخلص من تقليد الحضارات الشرقية وببورت حضارة متميزة، وتمكن من نشر مظاهرها في عالم بحر إيجة بأكمله. وهكذا ظهرت وحدة حضارية في العالم الإيجي، ما لم تكن هيمنة سياسية كريتية.

لقد ساعدت مجموعة من العوامل على هذا التطور، من بينها تطور الصناعة في كريت، وخاصة صناعة الخزف التي انتشرت منتجاتها في مختلف أجزاء البحر الأبيض المتوسط. و كذلك تقدم الملاحة الكريتية، التي صارت تربط كريت بالمناطق المجاورة، خاصة مصر وببلاد اليونان، بينما لوحظ تقلص العلاقات مع آسيا الصغرى، ربما بسبب غزو الحثيين Hittites لشبه جزيرة الأناضول في هذه الفترة. فترتب عن هذا الأمر تدهور المدن الشرقية الكريتية، باستثناء مدينة ماليا التي حافظت على مستوى ملحوظ من الازدهار. وفي المقابل تزايدت قوة كносوس وفايستوس، ومدن الوسط بصفة عامة، إذ أقيمت القصور الأولى حوالي 2000 ق.م؛ وصارت هذه الفترة تعرف باسمها (فترة أو مرحلة القصور الأولى).

وفجأة، حدث حوالي 1750 ق.م تخريب هذه القصور، ولا يُعرف السبب في ذلك. هل كان نتيجة غزو خارجي؟ لكن من هي القوة التي كانت تملك أسطولاً كافياً للقيام بالغزو؟ مصر وحدها كانت قادرة على ذلك، لكنها

كانت في هذه الفترة تعاني من غزو الهاكسوس. هل كان التخريب نتيجة هزة أرضية أصابت فقط وسط الجزيرة؟ هل كان نتيجة غزو قادته مدينة ماليا المزدهرة ضد مدن الوسط؟ لكن هذا الاحتمال ضعيف لأن مدن الشرق كانت ضعيفة. هل كان نتيجة تمرد السكان ضد ملوك المدن؟ هل سببه غزو هنود أوروببي قام به الآخيون المستقرون في اليونان منذ حوالي 2000 ق.م؟ هذه الفرضية يدعمها رموز الكتابة الخطية B في نظر البعض. مهما كان الأمر، فمن الملاحظ أن تهديم القصور الأولى لم يقض على الحضارة المينوية نهائياً، حيث استعادت قوتها بتشييد قصور أخرى تسمى القصور الثانية (= فترة أو عهد القصور الثانية).

4- أوج الثلاثيراتية المينوية 1750-1450 :

تتمثل الميزة الأساسية لهذه المرحلة في الهيمنة الواضحة التي أصبحت مدينة كنوسس تفرضها على جزيرة كريت. وتتجلى قوة كنوسس في القصر الجديد الذي شيد على أنقاض القصر السابق. وقد عثر في بقايا القصر على كنوز من المنتجات الفنية المتنوعة الرائعة : مثل التماثيل البرونزية والحلبي الفضية والذهبية، والأواني الخزفية والمعدنية، والرسوم أو اللوحات الجدارية التي تصور حياة الترف في القصر.

ظهرت هذه النهضة، التي عرفتها المدن الكريتية، في مدن الوسط خاصة، لكن عرفتها أيضاً المدن الشرقية. وما ساعد على ازدهار كريت ضعف الدول والقوى السياسية في الشرق: حيث كانت مصر لا تزال تعاني من غزو الهاكسوس؛ وفي ميزوبوطاميا كان الكاشيون قد استولوا على بابل في نهاية القرن 18 ق.م؛ وفي آسيا الصغرى كان الحثيون لا يزالون يوطدون قوتهم فيها. إذن أصبحت كريت في هذه الفترة تظهر كأكبر قوة في الحوض الشرقي بدون منازع؛ حيث استطاعت الوصول إلى مناطق بعيدة من الحوض الغربي، فبلغوا حتى إيبيريا. وتتجلى قوة كريت أيضاً في تزايد غزوها الحضاري للعالم الإيجي، وبلغت إلى قلب العالم الإغريقي، بما في ذلك السكان الجدد في شبه جزيرة اليونان: أي إلى بعض الآخين الذين بدؤوا يشيدون حضارتهم في بعض المراكز الخاصة في موكيانيا. وليس مستبعداً أن يكون ملوك كنوسس في هذه الفترة قد فرضاً سيطرتهم السياسية على بعض المناطق، وهذا باعتبار دليلين: الدليل الأول عبارة عن مصادر قديمة، تتضمن بعض الأساطير التي تصور قوة مينوس، ملك كريت؛ حيث روى ثوسيديد أن مينوس فرض سيطرته على العالم الإيجي. وهناك أسطورة المنطيور Minotaure (وحش أسطوري له جسد إنسان ورأس ثور)، ومفادها أن الملك مينوس فرض على الأثينيين تقديم 7 شبان و 7 شابات كل سنة إلى المنطيور. وهذه الأسطورة الأخيرة ترمز إلى أن أهل أثينا كان قد فرضت عليهم إتاوة من طرف ملك كريت، وهذا يرجح تبعية الأثينيين لكريت. أما الدليل الثاني فيتعلق بوجود عدد من المدن الساحلية تحمل اسم مينوس، مما يرمز على الأرجح إلى أن المينويين استقروا في تلك الموانئ، وفرضوا سيطرتهم عليها. وتوجد هذه

المدن التي تحمل اسم مينوا في شبه جزيرة اليونان، وخاصة بإقليم لاكونيا، وفي سوريا، وفي صقلية. لكن هذه السيطرة السياسية لم تدم طويلاً في هذه الفترة.

5- أ Fowler الحضارة المينوية 1450-1400 :

في هذه الفترة، ظهرت الطبقات الأثرية أن المدن الكريتية تعرضت للتدمير من جديد، لكنه كان بالاحتراق. وهذا التدمير أتى على مراحلتين: مرحلة أولى حوالي 1450 ق.م، حيث تحطمت قصور فايستوس وهاجيا تريادا وتوليسوس، أي مدن الوسط، باستثناء كنوسس. ويمكن افتراض أن كنوسس حطمت تلك المدن عقاباً لها على تمردها أو شيء من هذه القبيل. وفي المرحلة الثانية، حوالي 1400 ق.م، أصاب التدمير المدن السابقة بما فيها كنوسس. وتتضارب الآراء حول تفسير هذا التدمير؛ فإما أنه ترتب عن هزة أرضية، أو نتج عن ثورة داخلية، أو كان على الأرجح نتيجة غزو الآخرين. فاللماحظ من خلال الأبحاث الأثرية أن كريت عرفت في الفترة اللاحقة عن التدمير تزايد التأثيرات الإغريقية الأخيرة، ويشير هذا التأثير في شكل البناءات التي أصبحت تُشيَّد على أنقاض المدن المتهدمة، حيث كانت البناءات الجديدة أختيَّة الطابع، وهي عبارة عن الميكارون *Mégaron* الذي يختلف تماماً عن الشكل الكريتي. والميكارون يتمثل في قاعة كبيرة للضيوف، مزينة وتحتوي موقداً. وبينما كان الموقد في العهد المينوي متحركاً صار في العهد الموكيني ثابتاً يتوسط القاعة وتحيط به أعمدة تعلوها فتحة في السقف. وهناك أيضاً إشارة في الإلياذة تفيد بأن ملك كريت شارك في جيش أكممنون، ملك الآخرين في حرب طروادة، وهذا يرمي إلى أن كريت أصبحت جزءاً من العالم الآخر.

بعض مظاهر الحضارة المينوية :

في هذا الموضوع أيضاً لا بدile عن الاعتماد على نتائج الاكتشافات الأثرية. ويمكن رسم لوحة للحضارة المينوية ما بين القرن 21 والقرن 15 ق.م باعتبارها الفترة التي عرفت فيها هذه الحضارة أقصى تطورها. لكن إن أمكن تقديم صورة وصفية لطريقة عيش السكان (لباس/ سكن..)، فإنه من الصعب إعطاء معلومات دقيقة حول التنظيم الاجتماعي والحياة الفكرية. عموماً يجب تحليل المعطيات التاريخية بكثير من الحيطة والحذر الشديد لتفادي المبالغة والسقوط في الخيال.

الدولة والمجتمع لدى المينوبيين: كل المجتمعات، تشكل المجتمع الكريتي في البداية من عدد من العشائر التي تجمع بين أفرادها أواصر القرابة، ويعتقدون أن لهم جد مشترك، ولهم نفس العبودات المنزلية، ويشكلون وحدة اقتصادية وعسكرية. ويمكن أن يقطنوا بيتاً واحداً، ولهم مقبرة واحدة. وقد عثر في كريت على بيت كبير يرجع إلى القرن 18 ق.م ويضم أكثر من 20 غرفة في الطبقة الأرضية، وربما كان يضم طوابق أخرى، وله باب واحد. فكان على ما يبدو يضم عشيرة كاملة. ووجود العشائر في كريت يتبيَّن من كون أن رئيس العشيرة كان يُدفن في قبر

تميّز عن باقي أفراد العشيرة، إذ كان يوضع بجانبه خاتمه وسلامه المفضل. غير أن مثل هذه البيوت الكبيرة اختفت بالتدريج من الطبقات الأثرية اللاحقة زمنياً، وأصبح النوع السائد عبارة عن منازل صغيرة تتكون من غرفتين أو ثلاثة غرف، وهذا يؤشر إلى تفسخ العشيرة واستبدالها بنظام الأسرة الصغيرة.

لكن كيف توحدت جزيرة كريت تحت قيادة كносس؟ من المفترض أن تفسخ العشيرة أدى إلى ظهور القرى ثم إلى ظهور المدن. وظهور القرى والمدن أدى دوره إلى ظهور رؤساء جدد، وهؤلاء حاولوا التحكم في المناطق المجاورة. ونجد في أحد الرسوم التي تزين إحدى القطع الفخارية فكرة عن حصار إحدى المدن. وحسب هذا النهج استطاعت كносس أن تفرض هيمنتها بالتدريج على باقي المدن الكريتية، وخاصة بعد تخريب القصور الأولى حوالي 1750-1700ق.م. وقد استمرت تلك الهيمنة بلا منازع حتى حوالي 1400ق.م.

عرف ملك كносس عند قدماء المؤرخين باسم مينوس Minos؛ ويظهر أن هذا الاسم لم يكن اسم ملك واحد، بل كان لقباً لكل ملوك كносس مثلاً ما كان "الفرعون" لقباً لمملوك مصر. أما بالنسبة لاختصاصات الملك، فقد كانت له شارات خاصة تميزه، وربما ترمز إلى وظائفه المتعددة. ومن أهم تلك الشارات البلطة المزدوجة (يمكن أنها ترمز إلى القوة)، وزهرة الزنبق، وأحياناً يُرمَز إليه بالثور المقدس. وربما ترمز الأسطورة التي سبق ذكرها، والتي تنص على لقاء الملك بأبيه زيوس في إحدى المغارات كل 9 سنوات، إلى أن الملك كان يعتبر كبير الكهنة، وأن أقرانه كانوا ينتخبونه لمدة 9 سنوات. من وظائفه أيضاً أنه كان يتولى القضاء، حيث كان يعتبر قاضي الموتى في العالم الآخر. ولاشك في أنه كان يرأس جهازاً إدارياً نشيطاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الألواح العديدة التي عثر عليها في كносس وهي تحمل توقيعات بالأختام الملكية. وكان يجب الضرائب علينا، ويؤدي رواتب الموظفين علينا أيضاً.

بالنسبة للمجتمع المينوي، فيبدو أنه عرف التمايز الطبقي. لكن من الصعب تحديد نمط الإنتاج السائد لديه (البعض يتحدث عن نمط إنتاج قصري باعتبار دور القصر في الحياة كلها)، ومن الصعب أيضاً ضبط التشكيلة الاجتماعية السائدة. والملحوظ أن القصر كان يلعب دوراً اقتصادياً مهماً؛ وهو عبارة عن مركب متعدد الوظائف، حيث شمل المصانع ومخازن المؤن والكنوز ومساكن الموظفين. وإلى جانب الملك كانت توجد ارستقراطية تابعة للبيت الملكي؛ يعرف وجود هذه الفئة من القصور الخاصة التي كانت تمتلكها بجوار القصر الملكي، والتي كانت تميزة عن بنيات السكان البسيطة. كما تبرز هذه الارستقراطية من خلال الرسوم الجدرانية، حيث يظهر أفرادها وكأنهم يكونون نوعاً من حاشية الملك؛ يشاركون بجانبه في الحفلات والولائم، وفي خروجه إلى الصيد. وحسب شهادة المؤرخ ثوكوديس، فإن مينوس عيّن بالأقاليم التابعة للإمبراطورية عدداً من أبنائه. فربما تعلق الأمر بأفراد من تلك الارستقراطية. من المحتمل أن يكون هذا النظام قد ارتبط بيبروفراطية تشكل ما يسمى أحياناً بالطبقة الدولة.

الحياة الاقتصادية: أول ما يسترعي الانتباه في هذا المجال هو الفلاحة. ففي العصر النيوليتي ارتبطت

الأنشطة الرئيسية في كريت بالقنص وتربية الماشية. وخلال العصور المينوية احتفظت تربية الماشية بمركز مهم، وخاصة تربية الأبقار. أما الزراعة فاعتمدت الثلاثية المنتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط: الزيت، الكروم والقمح. غير أن نظام الاستغلال لا يعرف عنه شيء مؤكد. وما يُعرف هو أن التقنيات كانت جد عتيقة (استعمال محراث مكون من قطعة خشبية واحدة)، ويبدو أنه كانت توجد بعض الاستغلاليات المنظمة بطريقة لاحصيل الاكتفاء الذاتي. لكن الحفريات أثبتت عن بقايا استغلالية صغيرة محاطة بسياج تعود إلى العصر المينوي الحديث: فهل كان هذا مؤشراً على تطور نظام الاستغلال من الشكل الجماعي إلى الوحدات الصغرى (عائلية أو فردية). أما فيما يخص الصناعة، فالمجتمع الكريتي، كسائر المجتمعات القديمة، اعتمد في البداية على الاقتصاد العائلي لتحقيق الاكتفاء الذاتي. وتدرجياً، وأمام تنوع الحاجيات وتطور المجتمع، ظهرت ضرورة تقسيم العمل؛ فبرز الخزاف والنجار...، إضافة إلى بعض الحرفيين المتخصصين في صناعة القطع الفنية، أي قطع الخزف الثمين واللحي والمجوهرات والتماثيل... والملاحظ أن مختلف هذه الحرف كانت توجد في القصور الملكية، وكذلك في بعض المدن الصناعية، مثل مدينة كورنيا Gournia التي عرفت باسم مدينة الآلات بين الباحثين.

لقد حققت هذه الصناعة بعض التطور وبعض الاختصاصات، وخاصة في تلحيم قطع اللحي وصنع المفاتيح والأقوال؛ كما تطورت صباغة النسيج بالأرجوان. وقد عثر على منتجات هذه الصناعة الكريتية في مختلف أرجاء البحر المتوسط، مما يدل على التطور الكبير الذي عرفته كريت في هذا الميدان.

وفيما يتعلق بالتجارة، يبدو أنه بالموازاة لتطور المجتمع ظهرت بالضرورة الحاجة إلى التبادل بالبضائع بين المناطق الكريتية والعالم الخارجي. وفي هذا المجال تقدم الآثار الدليل على أن بعض المدن الكريتية عرفت نوعاً من التخصص: إذ اشتهرت كنوسس بإنتاج اللحي والأسلحة البرونزية، واحتلت كماريس بالخزف، واحتلت فرانيوس في شرق الجزيرة بالأواني البرونزية. وهذا الإنتاج ساعد من دون شك على تطور التبادل، وكذلك وجود بعض الطرق المعبدة، حيث عثر على آثار لأهم طريق كانت تربط بين كنوسس وفاسوس.

المعتقدات والمعتقدات: كما هو الشأن بالنسبة لكل الحضارات القديمة (مصر، بلاد ما بين النهرين، الرومان، الإغريق، المايا، الانكا، الأزتيك...) كانت الديانة تلعب دوراً أساسياً في المجتمع. وقد أبرزت الحفائر أماكن العبادة والوسائل المستعملة. كما أن الرسوم الجدارية والنقوش تتضمن مشاهد من الحفلات الدينية ومراسيم العبادة. لكن رغم هذا يبقى من الصعب التعرف على مغزى تلك العبادة ومعنى الرموز المتعلقة بها، وبالخصوص العقائد الدينية. لكن يتبيّن أن الديانة المينوية لها سمات مميزة تتمثل في أهمية الرموز في استحضار الآلهة. ومن أهم تلك الرموز البلطة المزدوجة، والدرع المعقوف الجانبي، والصلب الذي يرمي إلى رباعية السماء والأرض

والجحيم والبحر. ومن الرموز أيضاً القرنان اللذان يرمزان إلى الثور المقدس. ومن المميزات كذلك عبادة الحيوانات، مثل الثور الذي يحتل مكانة بارزة؛ وربما يرمز إلى قوة الحركات الباطنية الأرضية، لأنه يحمل الأرض على قرنيه حسب الأساطير. وهناك الثعابين التي ترافق إلهة الخصب، وكذلك الطيور وحيوانات أخرى. غير أن أهم الآلهة التي عبداً الكريتيون تمثلت في الإلهة الأم، التي كانوا يمثلونها بتماثيل مختلفة الحجم لأنثى متضخمة الأجزاء الأنثوية والتي ترمز إلى الخصب. وإذاء أهمية هذه المعبودة ارتأى بعض العلماء أن المينوبيين كانوا يعرفون ديانة توحيدية، وأن المعبودة تجسد الألوهية بمعناها العام. لكن البعض الآخر يرى في الإلهة الأم مجموعة متنوعة من المعبودات لكل واحدة منها اختصاصاته ووظائفه، وهناك دلائل وجدت لمعبد ذكر بجانب الإلهة الأم، كزيوس والثور المقدس والرموز الحربية. لكن يبقى على الأرجح أن أهمية الإلهة الأم كانت أكبر من اختصاصات المعبود الذكر.

والى جانب ما سبق، أمن الكريتيون بوجود حياة أخرى يعيشها الميت في قبره، حيث كانوا يدفون مع الموتى الأدوات التي كانوا يستعملونها في حياتهم اليومية، وكانوا يجددون لهم الغذاء اليومي، بل كانوا يقدمون لهم الأضاحي وإن كان من الصعب تأكيد هذا، والراجح أنهم كانوا يقدسونهم خوفاً منهم. ومن مظاهر الحياة الدينية أيضاً عملية التطهر وتقديم القرابين للآلهة. وكانت تقام حفلات دينية موسمية كبيرة عبارة عن استعراض وطقوس مختلفة، خاصة في فصل الربيع، في موسم جني الزيتون. وكانت هذه الحفلات تترأسها كاهنات.

الملحوظ أن هذه المعتقدات أثرت تأثيراً مهماً على الحياة العقدية الإغريقية: فأسطورة الإله زيوس لها أصل كريتي. وعبادة الإلهة الإغريقية ديميترا Demeter، وطقوسها الفلاحية، وألعابها والحيوانات المرتبطة بها، كل ذلك مقتبس من طقوس الآلهة الكريتية. وحيث كانت شهادة الكهنة الكريتيين كبيرة، فقد ظل الإغريق في العصر القديم الأرثوذكسي يلجؤون إلى الكهنة لتحصيل المعرفة الدينية.

أما فيما يخص الفنون المينوبية، فيجمع الدارسون على أن الفن المينوي تأثر كثيراً بالعناصر الفنية الشرقية، المصرية، السورية، الميزوبوطامية، الأناضولية؛ لكنهم يرون أن الفن المينوي تحلى بأسلوب خاص ميّزه عن أساليب تلك الحضارات. ففن العصر المينوي القديم يتجلّى أساساً في الخزف وال哈利 والأختام. وتميز باتجاهين: أولاً التبسيط ، وموضوعه الآلهة التي تصور على شكل رموز تبسط الواقع. ثانياً الواقعية: حيث باقي الأشكال (حيوانات أو نباتات...) كانت تتسم بكثير من الواقعية في الرسوم المنجزة. أما في العصر المينوي الوسيط فيمكن الحديث عن فن معماري خاص، يتجلّى في القصور الملكية التي عثر عليها في كريت؛ وهي تختلف كثيراً عن البناءات الإغريقية اللاحقة والرومانية، فهي عبارة عن قاعات متلاصقة وأجنحة تقسّلها ممرات أو ساحة كبيرة، دون العناية بالتناظر

أو وحدة في الهندسة. وما يميز البناءات المينوية عن غيرها هو أنها تمتاز بتوفرها على كثير من وسائل الراحة، وخاصة أفنية المياه العذبة والمراحيل، مع تصريف الفضلات خارج المساكن، وتشييد الدور من طوابق متعددة. ولعل أجمل ما يميز الفن المينوي في العصر الوسيط والحديث الرسوم الجدارية (الفريسكو). ويلاحظ في الرسوم تطور كبير: في البداية اكتفى الفنانون برسم الحيوانات والنباتات والطبيعة. وبعد مدة بدؤوا يعطون الأهمية الأولى للوجه البشري في الرسوم. وفي مجال النحت لم يبدع النحاتون أعمالاً كبرى. وكان النحات الكريتي يفضل القطع الصغيرة، وخاصة تماثيل الإلهة الأم. واستعمل كمادة خام العاج وبعض الأحجار الكريمة، ولم يستعمل الرخام إلا نادراً.

جدير بالذكر في الأخير أن الفن المينوي لم يتمت بصفة عامة مع الحضارة المينوية، بل انتقل إلى الحضارة الموكينية، وامتد أثره من بعد إلى الفن الإغريقي، وخاصة عند الأيونيين على سواحل آسيا الصغرى.

3- الموكينيون تاريخ وحضارة :

لما اكتشف شليمان في الربع الأخير من القرن 19 آثار موكييني وتيرانس، بدأت تظهر إلى الوجود معالم أول حضارة مهمة عرفتها بلاد الإغريق القارية، وسميت بالحضارة الموكيينية نسبة إلى مدينة موكييني مركز تلك الحضارة. كانت هذه الحضارة في مظاهر متعددة قريبة جداً من الحضارة المينوية حتى ظن إيفانس أنها مينوية الأصل لكن الأبحاث اللاحقة بينت مظاهر أخرى تميز حضارة موكييني عن الحضارة المينوية. ومع اكتشاف ألواح الخطية B وفك رموزها، اتضح أن أصحاب تلك الحضارة كانوا يتكلمون لهجة هندوأوروبية أمكن اعتبارها شكلاً عتيقاً للغة الإغريقية المعتمدة في العصر الكلاسيكي. ومن جهة أخرى لوحظ أن الأشعار الهوميرية أطلقت اسم "الأخيون" على الإغريق الأوائل الذين شاركوا في حرب طروادة تحت قيادة أكممنون، ملك موكييني؛ ومن ثم صار المؤرخون ينسبون الحضارة الموكيينية إلى الأخين.

لكن لا يعرف بالتدقيق كيف وفدت الأخيون على بلاد اليونان القارية، ومن أين أتوا: فالرأي السائد يعتبر الأخين من الموجة الأولى من الهنود أو وبين الوافدين على اليونان من حوض الدانوب، في أوائل الألف الثانية. وتبرز الآثار أن الوافدين الجدد أحذثوا بعض التغييرات البسيطة: تمثلت أساساً في ظهور نوع من الفخار الخاص المينيائي Minyen؛ وهو فخار يتميز بطلاء يحاول تقليد ألوان بعض المعادن (الفضة والنحاس والبرونز). وباستثناء هذا الفخار، كان المستوى الحضاري للأخين أقل بكثير من مستوى السكان المحليين، الذين كانوا متأثرين بالحضارة المينوية.

استغرقت الفترة الموكيينية حوالي 5 قرون (من حوالي 1600 إلى 1100 ق.م.). وعرفت أكبر تطورها بعد سقوط كносس (أي من حوالي 1400 إلى 1200 ق.م.). أما امتدادها في بلاد اليونان القارية فيتبين أنها لم تهم فقط موكييني، بل شملت عدداً من المراكز الأخرى: مثل تيرانس وبيلوس وطيبة، ومدن أخرى. وتتمثل المخلفات الأثرية للحضارة الموكيينية أساساً في المقابر المتنوعة والقصور المحسنة؛ وفي هذه الأماكن إذ اكتشفت ألواح المكتوبة بالخطية B والخزف وقطع فنية مختلفة، كالحلي؛ وهذا ما أفاد في التعريف بالحضارة الموكيينية التي يمكن استقاء معلومات أخرى عنها من الأشعار الهوميرية.

التأثيرات المينوية ومميزات الحضارة الموكيينية:

تبدوا التأثيرات المينوية واضحة في الآثار الفنية الموكيينية المرتبطة بالفترة المبكرة، التي ترجع إلى القرن 16 و 15 ق.م. ويرى المتخصصون أن الفن الموكييني لم يتعود كونه تقليد لنظيره المينوي. ويتجلى التأثير المينوي أولاً في الرسوم الجدارية: حيث تبرز نفس التقنية ونفس المواضيع. لكن هناك بعض المواضيع الجديدة، وخاصة منها المشاهد الحربية التي ترمي إلى الطابع الحربي الذي ميز المجتمع الموكييني عن نظيره الكريتي. وثانياً في

ميدان الخزف: كان الصناع الموكيينيون يرسمون على قطع الفخار مواضع تطرق لها المينويون؛ لكن الموكيينيون دأبوا على تبسيط الأشكال واستعمال رسوم هندسية. وثالثا في الميدان الديني: إذ غالبا ما يتحدث الباحثون عن الديانة الكريتية والموكينية كديانة واحدة؛ حيث الآثار تؤكد على الشبه الموجود بين الديانتين: نفس المذابح، نفس الأثاث المخصص لإقامة الشعائر، نفس أهمية المعبدة الأنثى. لكن هناك بعض نقط الاختلاف أهمها: أن الموكيينيون عبدوا بصفة أكيدة آلهة أخرى. حيث بينت ألواح الخطية B أنهم كانوا يعرفون معظم الآلهة التي عبدها الإغريق في العصور اللاحقة مثل زيوس أب الآلهة الإغريقية، وبوسيدون الله البحر، وديميتر إلهة الفلاحة وغيرها. ورابعا في الميدان الاجتماعي والتنظيم السياسي: حقيقة أن هناك تشابه، وهناك نقط اختلاف مهمة: يلاحظ بدايةً أن القصر كانت له أهمية اقتصادية كبيرة؛ لكن سلطة الملوك الآخرين كانت ربما أقل من سلطة الملك المينوي: باعتبار أن الطبقة الارستقراطية الموكينية كانت على الأرجح تلعب دورا سياسيا أكبر؛ فهي ارستقراطية عسكرية، ولها قلاعها في مختلف الممالك الآخية، ويظهر أفرادها في الأسعار الهميرية ينافسون الملك أحيانا، ويكونون بجانبه نوعا من هيئة استشارية لها كلمتها المسماة. ولهذا يرى بعض المؤرخين أن الموكيينيين اقتبسوا النظام الملكي من النظام المينوي، بدليل أن مصطلح "بازيلوس basileus" الذي كان يُنعت به الملك عند الموكيينيين هو مصطلح لا وجود له في اللغات الهندوأوروبية.

وجدير بالذكر أن القصور الموكينية كانت، عكس نظيرتها المينوية، تشهد منذ البداية في موقع دفاعية، وخاصة فوق التلال. كما كانت تحيط بها أسوار جد سميكية، من 10 م أحيانا؛ مما جعل تلك القصور نوعا من مأوى يلجأ إليه السكان في وقت الخطر. وهذا يدل على أن الصراعات والحروب كانت مستمرة بين مختلف الممالك الموكينية .

أما الفئات الفقيرة فلا يعرف عنها سوى القليل. حيث الأسعار الهميرية تخصص الحديث عن النبلاء، لكنها تشير إلى أن الملوك والارستقراطيين الموكيين كانوا يملكون ضياعا شاسعا استولوا عليها عن طريق الحرب. وفي هذه الضياع كان يشتغل الفلاحون التابعون، وهم نوع من الأقنان وأسرى الحروب.

انتشار الحضارة الموكينية: بينت الحفائر أن الموكيينيين أخذوا تدريجيا مكان المينويين في مختلف مراكزهم ومحطاتهم التجارية: فخلال القرن 15 ق م برزت محطات موكينية في رودس وقبرص وعلى طول السواحل الفينيقية، وفي مصر والخوض الغربي. والملحوظ أن أهم مخلفاتهم التي عثر عليها حتى الآن وجدت في جزر ليباري Lipari، شمال صقلية. ويبعدوا عن التوسع الموكيوني احتفظ بطبع سلمي على غرار التوسع المينوي. لكن القرن 13 ق م سجل منعرجا في تلك السياسة السلمية، وخاصة إذا سلمنا بصحة حدثين: أولا، تشير النصوص الحثية إلى أن مملكة أخياوا Akhiwa كانت تهاجم السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى وقبرص. ويرى كثير من المؤرخين أن

مملكة أَخِيَاوَا تعني "الأخيون". والحدث الثاني يتمثل في حرب طروادة التي ورد صداها في أشعار هوميروس. حيث أصبح العلماء منذ حفائر شليمان يرون أنه لا مجال لتكييف الإلياذة والأوديسيا جملة.

مضمون أسطورة طروادة، باختصار، مفاده أن باريس Paris ، ابن ملك طروادة، نزل ضيفا عند منيلاوس، ملك لَكِيدِيَّمُونْيَا، فاختطف زوجته هلينا Helene وعاد إلى طروادة. عندئذ قرر أكممنون، وهو ملك موكييني والأخ الأكبر لمنيلاوس، أخذ الثار، واسترجاع زوجة أخيه. فسانده الملوك الآخيون، وحاصروا طروادة لمدة 10 سنوات. ولم يتمكنوا من اقتحامها، ثم تدمرواها في نهاية المطاف، سوى باستعمال خدعة الحصان الخشبي الضخم الذي اختباً بداخله عدد من الجنود؛ فلما دخل الطرواديون الحصان إلى داخل مدينتهم ضانين أنه تذكار تركه المهاجمون قبل رحيلهم، تسلل الجنود من قلب الحصان وفتحوا أبواب المدينة في وجه المهاجمين. وقد احتفظ التاريخ بالحدث في شكل مثل لا يزال متداولا على الألسن: "حسان طروادة".

إذا تجاوزنا الشكل الأسطوري للخبر، يمكن القول إن الأسباب العميقة للحرب تكمن في نزاع بين أهل طروادة والآخرين حول التحكم في مضيق الدردنيل، الذي يؤدي إلى أراضي غنية على ضفاف البحر الأسود. لقد انتهت حرب طروادة بانتصار الآخرين. لكن هذا النصر لم يؤد إلى نتيجة حاسمة؛ خاصة وأن الأوديسيا تصور المتاعب التي عانى منها الملوك الآخيون خلال رجوعهم إلى مدنهم.

أفول الحضارة الموكيينية :

تحطمـت المراكـز الموكيـينـية فـي القرـن 13 و 12 قـ.مـ. وعـادـة ما يـعـزـا سـقوـطـ الـحـضـارـةـ الموـكـيـنـيـةـ إـلـىـ مـوـجـاتـ جـديـدةـ مـنـ الغـزـاةـ الـهـنـدـوـأـوـرـوبـيـينـ،ـ الـدـيـنـ وـفـدـواـ عـلـىـ الـيـونـانـ مـنـ الشـمـالـ،ـ وـحـطـمـوـاـ الـمـرـاكـزـ الموـكـيـنـيـةـ.ـ وـالـنـصـوصـ الـقـدـيمـةـ،ـ لـهـوـمـيرـوسـ وـثـوـسـيـدـيـدـ،ـ تـعـرـفـ هـؤـلـاءـ الـغـزـاةـ باـسـمـ الدـورـيـينـ.ـ وـالـجـدـيرـ بـالـذـكـرـ أـنـ الـمـعـطـيـاتـ الـأـثـرـيـةـ تـنـتـطـابـقـ معـ الـرـوـاـيـاتـ الـأـسـطـوـرـيـةـ وـالـتـارـيـخـيـةـ الـإـغـرـيـقـيـةـ فـيـ تـأـكـيدـ هـذـاـ الغـزوـ.ـ لـكـنـ هـذـاـ الغـزوـ لـمـ يـتـمـ فـجـأـةـ وـدـفـعـةـ وـاحـدـةـ كـمـ تـصـورـ الـرـوـاـيـاتـ الـأـسـطـوـرـيـةـ وـالـتـارـيـخـيـةـ الـإـغـرـيـقـيـةـ فـيـ تـأـكـيدـ هـذـاـ الغـزوـ.ـ لـكـنـ هـذـاـ الغـزوـ لـمـ يـتـمـ فـجـأـةـ وـدـفـعـةـ وـاحـدـةـ كـمـ تـصـورـ الـبـعـضـ.ـ وـيـبـدـوـ عـلـىـ الـأـرـجـحـ أـنـ اـمـتـدـ عـشـرـاتـ السـنـينـ،ـ وـكـانـ مـنـ عـمـلـ مـجـمـوعـاتـ مـخـتـلـفةـ مـنـ الـغـزـاةـ،ـ وـلـمـ يـسـلـكـ الـغـزـاةـ طـرـيـقاـ وـاحـدـاـ.ـ وـتـدـخـلـ هـذـهـ الـغـزـوـاتـ فـيـ إـطـارـ تـحـركـ عامـ،ـ قـامـتـ بـهـ عـدـةـ شـعـوبـ فـيـ اـتـجـاهـ شـرـقـ حـوضـ الـبـحـرـ الـأـبـيـضـ الـمـتوـسـطـ؛ـ وـيـظـهـرـ أـثـرـ هـذـاـ التـحـركـ فـيـ الضـغـطـ الـذـيـ مـارـسـتـهـ تـلـكـ الشـعـوبـ عـلـىـ الـدـوـلـ الـشـرـقـيـةـ الـتـقـلـيـدـيـةـ خـلـالـ الـقـرـنـينـ 13 و 12 قـ.ـمـ.ـ وـكـانـ مـنـ نـتـائـجـ هـذـاـ الضـغـطـ:ـ سـقوـطـ الـدـوـلـ الـحـلـيـةـ باـسـيـاـ الصـغـرـىـ،ـ وـتـدـمـيرـ الـمـدـنـ عـلـىـ السـواـحـلـ الـسـوـرـيـةـ الـلـبـانـيـةـ؛ـ وـتـعـرـضـ مـصـرـ (ـأـوـخـرـ الـقـرـنـ 13ـ وـبـدـاـيـةـ 12ـ قـ.ـمـ)ـ لـهـجـومـ مـاـ تـسـمـيهـ الـوـثـائـقـ الـمـصـرـيـةـ بـشـعـوبـ الـبـحـرـ،ـ إـذـ هـاجـمـتـ هـذـهـ الشـعـوبـ دـلـتـاـ الـنـيـلـ بـحـراـ مـنـدـ أـوـخـرـ الـقـرـنـ 13ـ،ـ إـلـىـ أـنـ اـسـطـعـافـ الـفـرـعـونـ رـمـسيـسـ IIIـ إـيقـافـهـاـ سـنـةـ 1191ـ قـ.ـمـ؛ـ وـكـانـ ذـلـكـ وـرـاءـ تـرـاجـعـ مـجـالـ النـفـوذـ الـمـصـرـيـ وـانـكـماـشـهـ فـيـ الـحـدـودـ الـتـقـلـيـدـيـةـ لـدـوـلـةـ مـصـرـ.

وهكذا، كانت الأحوال منذ القرن 13 ق م متربدة في البحر الأبيض المتوسط: حيث تزايدت عملية القرصنة التي أدت إلى انعدام الأمن في البحر وتدور المبادرات. وأدى هذا كله إلى ضعف التجارة الموكينية، التي كانت متৎقة الاقتصاد الموكيني. لقد أدت هذه التطورات بلا شك إلى تفاقم الصراع بين المالك الآخية حول امتلاك الأرض. وأدى هذا الصراع إلى إضعاف بعض المالك وتدمير بعضها: فمنذ القرن 13 ق م تحطم عدد مراكز موكيينية. وعندما تزايد ضغط الدوريين في القرن 12 ق م لم يجدوا أمامهم مالك آخية قوية، وبذلك استطاعوا تحطيم معظم المراكز الموكينية المتبقية.

بوفود الدوريين على اليونان واحتلالهم بالسكان السابقين عليهم اكتملت العناصر البشرية الرئيسية التي تكون منها الشعب الإغريقي الذي اشتهر فيما بعد القرن 12 ق م: فالى جانب السكان القدامى الذين كانوا موجودين قبل 2000 ق م وتأثروا بالحضارات الإيجية، وخاصة منها المينوية، انضاف الآخرون الذين وفدوا على المنطقة ابتداء من 2000 ق م، وتأثروا هم أيضا بالحضارة المينوية قبل تشييد حضارتهم الخاصة. ثم انضاف إلى النسيج البشري السالف الدوريون الذين غزوا المنطقة في أواخر ألف 2 ق م.

ستدخل بلاد الإغريق بعد الغزو الدوري في مرحلة مظلمة، لا يعرف عنها سوى القليل، وتسمى بالقرون الغامضة أو العصور الوسطى الإغريقية كما سلف الذكر. وامتدت على ما يقرب من 4 قرون: من حوالي القرن 12 إلى القرن 8 ق. م. وخلال هذه الفترة الغامضة يبدو أن بعض جوانب الحضارة تراجعت كثيراً مما كانت عليه في العصور المينوية والموكينية: حيث تم مثلاً نسيان الكتابة الخطية B، ولم تظهر الكتابة من جديد إلا بعد أن تعلم الإغريق الحروف الأبجدية من الفينيقين في القرن 8 ق. م. ورغم كل هذا، فإن بلاد الإغريق لم تنس كل العناصر الحضارية السابقة: فبعض المظاهر الفنية المينوية التي اقتبسها الموكينيون، نجدها فيما بعد عند الأيونيين. ولهذا، فال فترة الغامضة كانت على الأرجح فترة مخاض تولدت عنها البوادر الأولى للحضارة الإغريقية الكلاسيكية.

IV- من الفترة الغامضة إلى العصر الهليني:

مع القرن 12 دخلت بلاد الغريق مرحلة جديدة من تاريخها. فالغزو الدوري الذي أطاح بالممالك الموكيينية انتهى باستقرار الدوريين في مختلف مناطق بلاد الإغريق. وباستقرارهم اكتملت العناصر السكانية التي شكلت الشعب الإغريقي، وبدأت الحضارة الإغريقية بالمعنى الكامل للكلمة تتبلور وتتضخم معالمها. وعلى الرغم من أن الآخرين، الذين أنتجوا الحضارة الموكيينية، كانوا يمثلون العنصر الإغريقي الأقدم في شبه جزيرة اليونان، فإن العصر الهليني في نظر المؤرخين لا يبدأ إلا بعد الغزو الدوري، ويعتبرون الفترة الموكيينية فترة سابقة عن العصر الهليني. وبسبب شح المعلومات والفقر الكبير في المادة الوثائقية حول فترة ما بين القرن 12 و8 ق م سميت هذه الفترة بالقرون الغامضة أو العصر الوسيط الإغريقي؛ وقد سبقت مباشرةً الفترة الأرخيكية وأسست لها.

أما العصر الهليني فهو العصر الذي انقضى فيه الغموض عن تاريخ بلاد الإغريق، وكشف عن مظاهر وخصائص الحضارة الإغريقية. وجرت العادة بتقسيم العصر الهليني إلى فترتين: فترة مبكرة، وتسمى أيضاً العصر الأرخيكى، من 800 ق م إلى 490 ق م؛ وفترة حديثة، تسمى بالعصر الكلاسيكي، من 490 ق م إلى 323 ق م. الواقع أن العصر الهليني يstemد أصوله من الفترة التي سبقته، ويمثل امتداداً لها على عدة مستويات. عموماً، حدثت خلال الفترة الغامضة والفترة المبكرة (القرن 12 إلى بداية القرن 5 ق م) تطورات مهمة جداً، أعطت الوجه المعروف للحضارة الإغريقية الكلاسيكية. واهم تلك التطورات: اكتمال العناصر البشرية التي تشكل منها الشعب الإغريقي. انطلاق حركة استيطان الإغريق فيما وراء البحار، وانتشار الحضارة الإغريقية في أرجاء البحر الأبيض المتوسط. ثم انتعاش الحضارة الإغريقية في المستوطنات الإغريقية بسواحل آسيا الصغرى، وظهور وتطور نظام الدولة Polis

أثر الغزو الدوري: ظلت بلاد الإغريق مجالاً مفتوحاً في وجه المigrations والتحولات البشرية التي شكلت في نهاية المطاف الشعب الإغريقي المعروف في الفترة التاريخية. فإلى جانب السكان الأصليين -كما ذكرنا سابقاً- الذين سكنوا بلاد الإغريق خلال العصر الحجري الحديث وتحدث عنهم الأساطير باسم البلاسجيين، استقبلت البلاد مجموعة بشرية جديدة من آسيا الصغرى لهم قرابة بسكان كريت وجزر بحر إيجة، وقد تحذوا لغة غير إغريقية، بقيت بعض مصطلحاتها في اللغة الإغريقية (مفردات ليس لها نفس النهايات الإغريقية المألوفة)، وقد اصطلاح على هذه المجموعة بالميانيائية. وفي مطلع الألف 2 وفدت الموجة الإغريقية الأولى المتمثلة في الآخرين الذين أنتجوا الحضارة الموكيينية، وهم من أصول هندوأوروبية. ومع بداية القرن 12 وصلت الموجة الإغريقية الثانية، ممثلة في الدوريين، الذين أطاحوا بالملوك الآخرين ودمروا قصورهم وممتلكاتهم وعصروا بالأوضاع السياسية في البلاد.

وبوصول الدوريين اكتملت معالم الشعب الاغريقي. وتباور بالموازاة لذلك واقع جديد سيطر في ظله الوافدون الجدد وسخروا العناصر السابقة عنهم لخدمتهم. وكان هذا كله بداية حراك اجتماعي وسياسي جديد، تطورت في ظله الـ **الدوبلات الإغريقية**.

لقد تميز الغزو الدوري بعنف شديد في بعض المناطق اليونانية (حسب آثار الإحرق والتخريب في المراكز الموكيينية السابقة)، ولم تنج من هذا التخريب سوى بعض المناطق القليلة (كم منطقة أثينا). لكن مهما بلغت شدة هذا التخريب، فإن الغزاة لم يحطموا كل ما كان موجوداً قبلهم من مظاهر الحضارة: حيث ظلت بعض المناطق تأخذ بأسباب الحضارة الموكيينية، كما يتجلّى من نوع الخزف الذي عثر عليه والذي يسمى عند علماء الآثار بالخزف الموكياني المتأخر. وقد عثر على بقايا الحضارة الموكيينية المتأخرة في كريت وقبرص والسواحل السورية. غير أن مختلف المراكز اليونانية، سواء التي تعرضت للغزو (خاصة إقليم البيلوبونيز)، أو التي سلمت منه (مثل أثينا)، تبنت كلها أسلوباً جديداً في الفن، يعرف بالأسلوب الهندسي. ونظراً لأهمية هذا الأسلوب صارت الفترة كلها تعرف عند علماء الآثار بالفترة الهندسية، من القرن 11 إلى القرن 8 ق.م.



يتسم الفن الهندسي بسيطرة الخطوط المنكسرة والمستقيمة، وبتبسيط الأشكال الحيوانية والبشرية، والميل إلى تناول الأجزاء (وبهذا كان مخالفًا لفن المينوي الذي اتسم في الغالب بالواقعية). ومن خصائص الفن الهندسي أنه لا يرى الطبيعة إلا من خلال عناصر تجميلية، لكن هذه العناصر لم تكن جديدة، وإنما مقتبسة من الشرق (عبر جزيرة رودس وقبرص). كما استعمل بعض الزخارف التي كانت سائدة في الفن الموكياني (عربات حربية، مشاهد بحرية، الطيور، حيوانات). وقد اختلف العلماء حول أصل هذا الفن، هل هو دوري الأصل، أم أنه تطور لفن المحلي؟

وعوماً، من الراجح أنه جاء نتاج تطورات محلية، باعتبار أن المناطق التي لم تعرف الغزو الدوري هي التي نشط فيها هذا الفن أكثر.

إلى جانب الواقع السابقة تسبب الغزو الدوري في حركة بشرية إغريقية في اتجاه العالم الخارجي، تعرف تاريخياً بحركة الاستيطان الإغريقي الأولى، ولم تكن هذه الحركة هي الوحيدة في التاريخ الإغريقي؛ إذ ستنظر في القرن 8 حركة استيطانية إغريقية ثانية.

حركة الاستيطان الإغريقي الأولى في سواحل آسيا الصغرى:

في فترة الغزو الدوري شهدت بلاد الإغريق حركة هجرة مضادة قام بها الإغريق نحو الجزر المجاورة وسواحل آسيا الصغرى. وتسمى هذه الهجرة بالحركة الاستيطانية الأولى لتمييزها عن الحركة الاستيطانية الثانية التي تمت فيما بعد (بين 750-550 ق.م). ويعزى السبب الرئيسي لهذه الهجرة إلى اكتظاظ بعض المناطق باللاجئين الفارين من وجه الغزوة الدوريين. أما التاريخ الذي وقعت فيه الهجرة والظروف التي تمت فيها، فلا توجد حولها سوى إشارات متأخرة ذات طابع أسطوري. وعموماً يحدد تاريخ الحركة بين القرنين 12-10 ق.م. وتبعاً للهجات الإغريقية التي كانت معروفة في العصور اللاحقة أمكن تقسيم الإغريق المهاجرين إلى 3 مجموعات رئيسية، حيث هاجرت كل مجموعة من منطقة معينة من بلاد اليونان، واستقرت على العموم في الجزر والسوالخ الآسيوية المقابلة لتلك المنطقة، وأطلقت اسمها على موطنها الجديد. وتتمثل هذه المجموعات الثلاث في: الإيليون في الشمال؛ والإيونيون في الوسط وجزر الكوكلاديس؛ والدوريون في الجنوب. والجدير بالذكر أن الهجرة لم تأخذ هذا الشكل المنظم الدقيق، وإنما كانت العناصر البشرية في الغالب مختلطة. والراجح أن المهاجرين لم يتوجلوا داخل الأرضي الآسيوية، واكتفوا باستغلال شريط ساحلي ضيق. وكانت المدن التي أقاموها هناك تمثل فقط نقط وصول الطرق التجارية الكبرى التي تخترق آسيا الصغرى.

ويلاحظ أن المهاجرين الإغريق احتفظوا بعلاقات مستمرة مع بلاد اليونان القارية، مما سهل عليهم طلب المساعدة من إخوانهم اليونانيين لما تعرضوا للغزو الفارسي. لكن الإغريق جميعاً لم يكونوا دولة موحدة رغم شعورهم بالأصل المشترك (اللغة، التقاليد، عقائد دينية...) وعاشوا في دواليات مستقلة عن بعضها البعض. والشكل الاتحدادي الوحيد الذي توصلوا إليه هو اشتراك كل مجموعة من المجموعات الثلاث في تجمع ديني تقيمه كل مجموعة حول معبد مشترك.

كان الإيونيون من بين هذه المجموعات الثلاث هم الأكثر تحمساً في الميدان الحضاري، حيث احتلت أيونيا (قبل أثينا وغيرها) الصدارة في العالم الإغريقي في القرن 7 و6 خاصةً: فهو ميروس ينتمي إلى هذه المنطقة، وربما كان يعيش في مدينة خيوس. وطاليس Tales أصله من مدينة ملิตوس، وكان من أبرز رواد هذه المنطقة في

العلوم الرياضية والفلكلورية. وهيكاتي Hécatee ينتمي إلى مدينة ملitos، وهو أول المؤرخين الإغريق. وصافوا الشاعرة التي حازت شهرة واسعة، كانت من جزيرة لسبوس. وقد وقعت أيضاً في هذه المنطقة عدة اختراعات تقنية لا تزال معتمدة في العديد من المجالات (مثل زاوية النجار، وميزان الماء...). وعرفت كذلك أسلوباً في الهندسة المعمارية، يتمثل في الأسلوب الأيوني.

فأول تقدم أحرزت عليه الحضارة الإغريقية لم يكن في اليونان القاري بل في آسيا الصغرى. ويمكن إرجاء أسباب هذا التقدم إلى كون الإيونيين في معظمهم من الآخرين الذين حملوا معهم مقومات الحضارة الموكيانية؛ كما أنهم نعموا في البداية بفترة من السلم والاطمئنان، طوروا فيها التجارة مع آسيا الصغرى والمناطق الشرقية، وانفتحوا على حضارات هذه المناطق وتأثروا بها، مما أفادهم كثيراً. ومن هذه المستوطنات الإغريقية الآسيوية انتقلت تلك التأثيرات الشرقية إلى المدن اليونانية الفارسية تدريجياً. ظهرت بذلك في مختلف أنحاء العالم الإغريقي حركة فكرية وفنية حديثة، وأخذت الديانة الإغريقية شكلها النهائي.

1- نشأة الدوليات الإغريقية، الأصل والتطور السياسي:

أدى الغزو الدوري إلى تحطم الممالك الآخية، فحلت محلها تنظيمات اجتماعية وسياسية وجغرافية أخرى أفضت إلى تبلور الدوليات الإغريقية المعروفة في العصر الهليني. وكان الإغريق يسمون تلك الدوليات بالبوليس Polis، وعادة ما تترجم هذه الكلمة الإغريقية بالمدينة الدولة cité état او دولة المدينة، لكن هذه الترجمة ترجمة تقريبية وغير دقيقة، وترتبط عنها عدة مشاكل في فهم التاريخ الإغريقي. عموماً، تعتبر البوليس الإطار الحقيقي الذي نمت فيه وتطورت الحضارة الإغريقية. وهي من أكثر المظاهر أصالة في الحضارة الإغريقية والرومانية في بدايتها، لدرجة أنها شكلت في نظر الإغريق معيار الفرق بينهم وبين الشعوب الأخرى المتبربة التي لم تكن تتتوفر على هذا الإطار المديني.

لقد حاول المؤرخون النفوذ إلى حقيقة البوليس كما كان يتصورها الإغريق أنفسهم، واجتذبوا أحياناً في إعطاء تعريف شامل لها، وفي تفسير ظهورها في بلاد الإغريق. وفي هذا السياق يتم التمييز بين سؤالين: سؤال عام، كيف ظهرت الدولة عند الإغريق؟ وسؤال خاص، ما هي المميزات الرئيسية للبوليس؟ أي لماذا ظهرت الدولة بذلك الشكل في بلاد الإغريق ولم تظهر على الشكل الذي عرفته المناطق الشرقية؟

يميل الباحثون إلى الاعتقاد بأن العشيرة gens/génos (ترتكز على قرابة مشتركة وطقوس دينية مشتركة)، ومكان مشترك للدفن، وأملاك أموال مشتركة، وحق الوراثة المتبادل) ظلت تشكل الخلية الأساسية في المجتمع اليوناني في الفترة الغامضة، وتتكون العشيرة من عدد من العائلات. وتتحدد العشائر في إطار حلقة وسطى هي الفراترية Phratry . والفراتريا وحدة اجتماعية، تكتسي طابعاً دينياً (حيث ترعاها الآلهة)، وتسهر على تنظيم حياة أفرادها : تتدخل في بعض الأحداث الخاصة وفي الحياة العامة : (تشرف على مراسيم الزواج - تقدم الأبناء الشرعيين - تقوم بتسجيل الأفراد البالغين - التقييد في لواح الجنود). وتتحدد الفراترية في إطار أكبر هو القبيلة Philae : فعلى سبيل المثال تتحدد المصادر عن وجود 4 قبائل في أتيكا، تتنقسم إلى 3 فراتريات، وكل فراترية تتكون من 30 عشيرة. والمصادر تتسب هذا التقسيم إلى الملك ثسيوس Thésée . والراجح أن هذا التقسيم المنهجي لم يكن مطابقاً للواقع، وقد روعي فيه التماثل مع الشهور والفصول والأيام في السنة. لكن التقسيم مع ذلك يبقى دليلاً على وجود التنظيم القبلي منذ فجر تاريخ اليونان.

من الملحوظ أن بعض القبائل كانت منذ العصر الموكيني تتحدد في أقوام صغيرة تعيش في مدن ومرافئ محمية بالأسوار، ورغم ذلك احتفظت القبائل والفراتريات والعشائر باستقلالها الكامل. والبازيلوس لم يكن ملكاً مطلقاً، حيث أن أرستقراطية عسكرية كانت قد برزت، وصارت تلعب دوراً مهماً. ومع مرور الوقت تعاظمت

الفوارق في ملكية الأرض والغائم الحربية، وتعاظم معها العنصر الارستقراطي داخل المجتمع القديم، الذي كان يعيش في نوع من ديمقراطية عسكرية بدائية؛ تتجلى في نوع من التعايش الموجود بين 3 هيئات :

- مجلس البولي *Boulé* : وهو يمثل الهيئة الدائمة للسلطة. ربما كان في البداية يتتألف من زعماء العشائر. ثم

صار شيئاً فشيئاً في يد العناصر الارستقراطية، وأصبح عبارة عن مجلس الشيوخ .

- الجمعية الشعبية *Agora* : تكون من مجموع المواطنين، لكنها لا تتعقد سوى بطلب من المجلس لحل القضايا الهامة، وهي التي تملك السلطة العليا بوصفها عبارة عن الشعب حاملاً للسلاح. وكان اتخاذ القرار يتم برفع الأيدي أو الهاتف.

- البازيلوس *Basileus* : هو قبل كل شيء القائد العسكري. وفي الأشعار الهوميرية تستعمل الكلمة في صيغة الجمع أحياناً لتدل على زعماء العشائر مالكي الأرض، وربما كان هذا هو المعنى الأصلي. لكن الكلمة غالباً ما تستعمل في صيغة المفرد لطلق على زعيم، أو ملك، له 3 صفات: صلاحية دينية، إذ هو رئيس الكهنة ويقدم القرابين للألهة؛ صلاحية قضائية: يقضي بين المتخاصمين؛ صلاحية عسكرية: هو الذي يرأس الجيوش. لكن سلطة البازيلوس كانت محدودة بسبب المجلس والجمعية، وأن وظيفته لم تكن وراثية من الوجهة الشرعية رغم أن المنصب كان ينتقل إلى الإبن، لكن عن طريق الانتخاب الشعبي.

وفي ظل التطور، اتجه نظام القبائل والعشائر نحو الانحلال والتفسخ: فالحق الأبوي، مع توريث الملكية للأولاد الذكور، كان من شأنه أن يسهل تراكم الثروات في العائلة، و يجعل من العائلة قوة ضد العشيرة. و كان من شأن الملكية العائلية أن تخلق الفوارق الطبقية داخل العشائر، وتؤدي إلى تقوية الأسر الارستقراطية. وإلى جانب هذا المعطى، هناك تطور تقسيم العمل (زراعة، حرف، تجارة، ملاحة) الذي سيؤدي بأعضاء بعض العشائر والفراتريات والقبائل إلى النزوح بصفة مؤقتة، أو دائمة، إلى مناطق قبائل أخرى، مما جعلهم غرباء في أماكن إقامتهم الجديدة. فهذا كله شوش العمل العادي لهيئة العشائر والقبائل؛ ومن تم كان من اللازم إحداث إدارة مركزية في مكان ما، لتتولى ما أصبح من العسير على العشائر تسييره: ففي أثينا مثلاً، تتنسب الروايات إلى ثسيوس Thésée عملية توحيد القبائل 4 السابقة، بهدف تأسيس مركز مشترك يتجمّع فيه الأعضاء، فنشأ بذلك حق المواطنة في منطقة أتيكا لكل السكان الأحرار، بغض النظر عن انتمائهم القبلي السابق.

وتتنسب الروايات أيضاً إلى ثسيوس عملية تقسيم الشعب إلى طبقات، بصرف النظر عن العشيرة أو القبيلة

التي كان الأفراد ينتمون إليها سابقاً؛ وهذه الطبقات هي: طبقة الأُوبطريون Eupatrides، حيث شكل أفرادها الارستقراطية المالكة للعقارات؛ طبقة الزراع، الذين يستغلون بسوادهم الأرض التي يملكونها؛ ثم طبقة الحرفيين كطبقة أخيرة في أسفل الهرم الاجتماعي. يوضح هذا التصنيف ذو الخلفية الاقتصادية والاجتماعية أن تقسيم العمل

بين الحرفيين وال فلاحين ترسخ إلى حد أنه دفع التقسيم الاجتماعي السابق (عشائر وقبائل) نحو المرتبة الثانية. وهكذا، أدى تفسخ العشيرة بالتدرج إلى ظهور جهاز حكم مركزي: أي أن التطور كان يسير في اتجاه تكوين الدولة. وستنتهي هذه الدولة بالتدرج إلى أن يتم القضاء على نظام العشائر (القرابة الدموية)، ويبدأ تصنيف السكان حسب ثرواتهم ومكان الإقامة.

المميزات الرئيسية للبوليسي:

من الصعب إعطاء تفسير شامل للبوليسي الإغريقي. لكن لا شك في أنها تطورت على مر القرون حتى اتخذت شكلها النهائي في العصر الكلاسيكي. ومن الأكيد أن هناك فوارق بين الدوليات. ومع ذلك يمكن التمييز بين ما هو أساسى ومشترك بين الدوليات، وبين ما هو ثانوي يمكن أن يختلف من دولة إلى أخرى. فما يطبع الدوليات الإغriقية، سواء في اليونان أو في المستوطنات:

أولاً، صغر المساحة: حيث أن مساحة معظمها كانت لا تتعدي 1000 كم²; أثينا وهي من أكبر الدوليات كانت لها مساحة تقدر بـ 2650 كم². أما أصغرها فكانت مساحتها أقل بكثير مثل جزيرة خيوس مساحتها 173 كم² ومع ذلك كانت توجد فيها 4 دوليات. ونتج عن صغر المساحة أن كان عدد المواطنين في الدولة منخفضاً، وبضعة آلاف فقط (أكبر تلك الدوليات أثينا، كان عدد المواطنين فيها لا يتجاوز 30.000 عند بداية القرن 5 ق.م). وقلة السكان كان من أهم العوامل المساعدة على ممارسة الديمقراطية مباشرة، إذ مكنت من مشاركة المواطنين مشاركة فعالة في تسيير شؤون دولتهم.

ثانياً، الاستقلال التام: فالدولة مهما كان حجمها وعدد سكانها كانت متمسكة باستقلالها التام، لها قوانينها الخاصة ولها معبداتها الخاصة التي تحميها وترعاها (مثلاً إلهة أثينا عند الأثينيين)؛ مما يفسر أن الدوليات لم تنج في تكوين دولة موحدة إغريقية، وأن الأحلاف التي كانت تتخبط فيها لمواجهة الأخطار الخارجية على الخصوص، لم تقم بدون صعوبات، ولم تدم سوى فترات قصيرة.

لكن نظام الدوليات لم يكن يتنافى مع شعور الإغريق بأصل مشترك يعتزون به: على سبيل المثال، ذكر هيرودوت أن الأثينيين عندما صرموا مبعوث الفرس، الذي جاء للتفاوض، قالوا له أن الهليني من له نفس الدم ونفس اللغة ونفس المذهب ونفس القرابين المقدمة إلى الآلهة. لكن هذه العناصر المشتركة لم تتغلب أبداً على التشتت السياسي.

ثالثاً، شعور المواطنين بالانتماء إلى نفس المجموعة: هذا الشعور لا يأتي من ولاء الشخص إلى قائد أو ملك أو كاهن، وإنما إلى وجود تقاليد ومصالح مشتركة ومنظمة. ولهذا فإن قلب الدولة النابض لم يكن القصر الملكي، وإنما الأغورا Agora التي صارت تطلق على الساحة العمومية التي تتعقد فيها التجمعات السياسية (وهي ساحة

الفوروم في المدن الرومانية). ففي نظر Aristot تهدف البوليس إلى أن تكون قدر المستطاع مجتمعاً مكوناً من الأفراد المتساوين والأحرار. غير أن الواقع لم يكن مطابقاً لقول أرسطو: باعتبار أن تطور البوليس اقترب بتفوي الأرستقراطية والفتات العليا في البداية. لكن كلما تجاوز الأقواء الحدود (ما يسمى بالعدالة الاجتماعية Dike)، كان المجتمع كهيأة منظمة يرد الفعل، فيظهر مصلحون يضعون قوانين جديدة، وأحياناً طغاة يعتمدون على القوة الشعبية. عموماً، وتبعاً للمميزات الرئيسية للبوليس، يظهر أنها تمثل قبل كل شيء إطاراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً متاماً، وتجسد شعور المواطنين بوحدة مصالحهم ومعتقداتهم. ويتمثل هذا الشعور في ضرورة توفر البوليس على مركز تجتمع فيه المنشآت المدنية والدينية. وأهم هذه المنشآت: الأغورا Agora التي يجتمع فيها المواطنون للمداولات وتبادل السلع. القلعة أو الأكروبوليس Acropolis، وهي المكان المرتفع المحمص في المركز، يلجا إليه السكان وقت الخطر، وفيه معبد الإله الحامي للمدينة.

أما نقط الاختلاف بين الدوليات فيمكن اختصار أهمها كالتالي: يمكن أن تتتوفر الدولة على مدينة أو أكثر (في سهل أتيكا مدينتان لكن هناك دولة واحدة هي دولة الأثينيين). ويمكن أن لا تتتوفر على أي حاضرة / مدينة (مثل إسبرطة، فالإسبارتيون كانوا يعيشون في 5 قرى متقاربة). وكيفما كان الحال، فإن الحد الفاصل بين سكان المدينة وسكان الريف لم يكن قائماً بنفس الوضوح الذي كان مثلاً في العصر الوسيط الأوروبي أو في وقتنا الراهن: فالأتينيون مثلاً، ليسوا فقط المواطنون القاطنون في مدينة أثينا، ولكن أيضاً من يسكنون في الريف المجاور. والجدير بالذكر أن الدوليات الإغريقية لم تعرف كلها نفس النظام السياسي؛ فبعضها عاش تحت النظام الملكي أو الأرستقراطي أو حكم الأقلية أو حكم الطغاة، ومنها من بلغ النظام الديمقراطي ثم تراجع عنه. علماً أنه من الخطأ إقامة معادلة بين البوليس والنظام الديمقراطي.

على العموم، مهما كان نظام الحكم، كان المواطنون في البوليس الإغريقية يشاركون في تسخير شؤونهم بصورة أكثر مما كان موجوداً في المدن الشرقية القديمة مثل المدن السومرية، أي أن طابع الملكية الشرقية المستبدة، أو ذات الأصل الإلهي، لم يوجد في الدوليات الإغريقية: فلم يكن البازيلوس Basileus الإغريقي منذ البداية حاكماً مطلقاً، ولم يُؤله، وكان عليه أن يحسب الحساب للهيئة الأرستقراطية. كما أن الصراعات الاجتماعية أدت تدريجياً إلى ظهور أنظمة ديمقراطية في عدة دوليات إغريقية، لكن تلك الديمقراطية لم تكن إلا لصالح الممتعين بحق المواطنة. كما أن حكم الطغاة لم يكن في حد ذاته سوى ردة فعل الفتات الدنيا من المجتمع ضد تسلط النبلاء على جهاز الحكم؛ وكان عموماً مرحلة انتقالية في القرن 7 و 6 ق م بين النظام الأرستقراطي والنظام الديمقراطي.

تفسير ظاهرة البواليس: يمكن لعنصر الجغرافيا أن يفسر جزئياً صغر الدوليات: فالأراضي اليونانية تقطعها

الجبال إلى وحدات سهلية ضيقة وشبه معزولة عن بعضها البعض، وبالتالي تكون المواصلات فيما بينها صعبة (نفس الظاهرة مثلاً في بلاد فينيقيا). كما أن توافد الغزاة الدوريين والاضطراب الذي عرفته المنطقة يمكن أن يفسر إلى حد ما انعزal المجموعات البشرية في مجالات ضيقة يسهل الدفاع عنها. لكن الجغرافيا لا تفسر كل شيء: فمثلاً، لماذا نجحت أثينا في تأسيس دويلة تضم المدن والقرى المجاورة في سهل أتيكا الواسع، وفشل طيبة في تحقيق نفس الهدف في سهل بيوتيا الذي لم يكن أكثر اتساعاً من سهل أتيكا، وظل موزعاً بين 12 دويلة. ولماذا احتفظ الإغريق بنظام الدوليات في المناطق التي استوطنوها لاحقاً، حيث لم تكن الظروف الجغرافية تحتم ذلك (في صقلية وجنوب إيطاليا)، وحيث كان وجود خطر مشترك يفرض على الدوليات تكوين وحدة سياسية أكبر.

يرى الباحث فينلي Finlay في تفسير الظاهرة أن الأمر يتعلق بعادة مترسّخة، وقناعة موروثة، تقتضي أن يعيش الإغريق في إطار الدوليات. لكن متى برزت هذه القناعة وعلى أي أساس تاريخي؟ الراجح أن التنظيم الاجتماعي والاقتصادي لعب دوراً مهماً منذ البداية: فالتنظيم القبلي ظل سائداً خلال فترة طويلة، ثم خلفه الارستقراطية. والملوك لم يستطعوا إقامة دولة مركزية ذات حكم مطلق، على غرار ما كان في الشرق؛ خاصة وأن الاقتصاد اليوناني لم يكن في حاجة إلى نظام مركزي ينظم الري أو يُسيّر الأشغال الكبرى؛ على عكس ما كان موجوداً في دلتا النيل وبلاد الرافدين؛ فكانت الحكومة المركزية نوعاً من ضرورة اقتصادية في هذه المناطق، بينما لم تكن ضرورية في بلاد الإغريق. أما بالنسبة للفوارق في الحجم بين الدوليات، فيمكن أن يرجع إلى عوامل متعددة جغرافية وتاريخية لا نستطيع أن نقف أحياناً عليها بكامل الدقة، وهذا بسبب قلة المصادر عن الفترة الغامضة، أي الفترة التي تكونت فيها معظم الدوليات الإغريقية.

ويرى الباحث عبد الوهاب يحيى في "مقدمة التاريخ الحضاري" أن المدن السومرية والفينيقية لم تصل في تطورها على طريق الحكم الجماعي إلى أكثر من حكم طبقي تسيطر عليه الأقلية الثرية، وذلك على عكس الدوليات الإغريقية التي توصلت إلى مرحلة الحكم الشعبي. ويرجع هذا في نظره إلى الظروف الخارجية التي أحاطت بالمجتمع اليوناني خلال المرحلة التكوينية، من القرن 12 ق.م إلى القرن 6 ق.م؛ أي أن المجتمع الإغريقي لم يتعرض لغزو خارجي، على عكس المدن السومرية والفينيقية؛ وبالتالي استطاع أن يتطور في كامل الاطمئنان. أما العوامل الداخلية التي أدت إلى ذلك الحكم الشعبي في الدوليات الإغريقية، فيعتقد الباحث أنها أتت نتيجة للتطور على ثلاثة مراحل، وفي كل مرحلة لعب أحد المقومات دوراً أساسياً: في مرحلة أولى، لعب المقوم السياسي الدور الأول؛ ويكون في توحيد الملوك للدوليات، ثم فقد الحكم الملكي مبرر وجوده بالضرورة بعد أن تم ذلك التوحيد. وفي مرحلة ثانية، أي خلال القرن 8 ق.م، بُرِزَ مقوم آخر هو المقوم الاقتصادي، الذي يمكن في تسلط الارستقراطية على

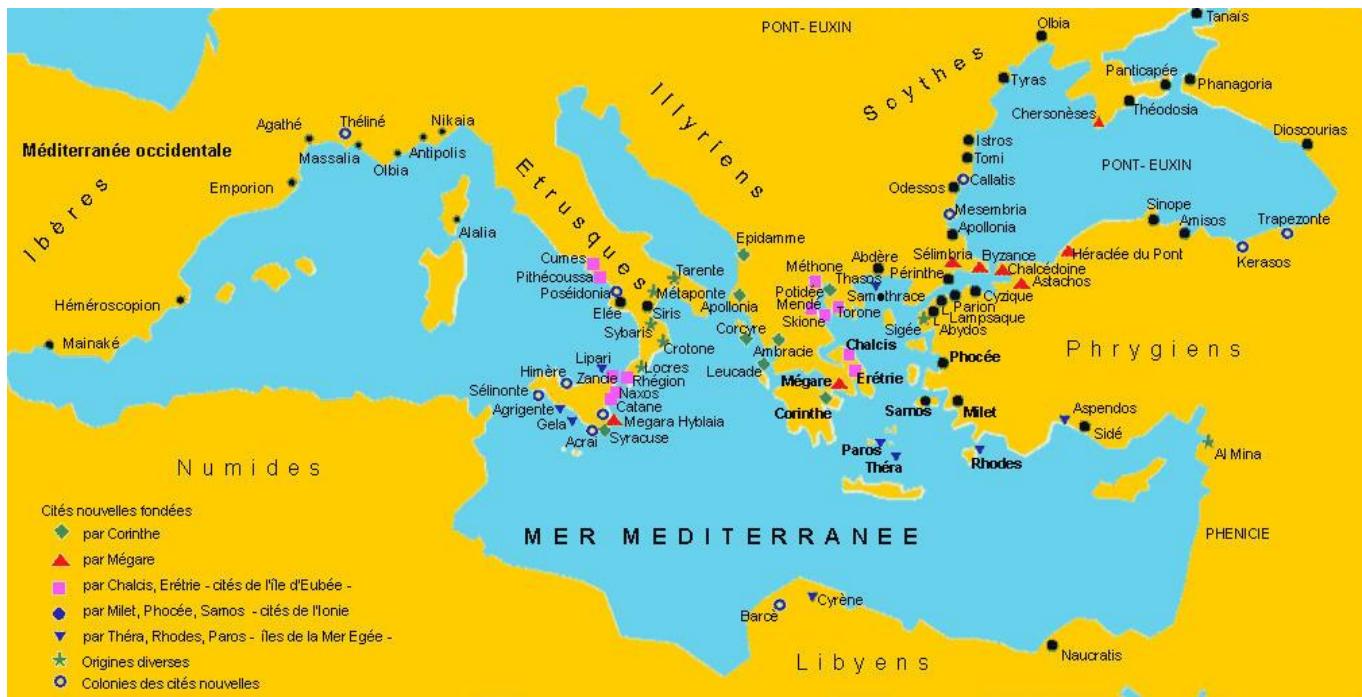
الأراضي، وفي ظهور طبقة من التجار، ف تكونت حكومة الأقلية في الدولات اليونانية. وفي مرحلة ثالثة، بُرِزَ المقوم البشري كعنصر محرك لتطور النظم السياسية، ويتجلّى في الشعور المعبأ الساخط على تحكم الأقلية في أجهزة الحكم ظهر حكم الطغاة ثم بعده الحكم الشعبي أو الديمقراطي.

في ظل الفترة الكلاسيكية، وفي ظل نظام البوليس والتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي عرفته المرحلة، وجد الإغريق أنفسهم مجبرين على ركوب البحر مرة أخرى بهدف تأسيس مستوطنات جديدة ساهمت في توسيع خريطة العالم الإغريقي أكثر، وكانت لها انعكاسات مهمة واقع الإغريق؛ تلك كانت الحركة الاستيطانية الثانية.

حركة الاستيطان الثانية 750 – 550 ق.م:

تنعدد الأسباب التي دفعت إلى هجرة الإغريق لبلادهم والنزوح نحو مناطق جديدة لتأسيس مستوطنات والاستقرار بها كوطن بديل عن الوطن الأصلي. على العموم يمكن التمييز بين أسباب أساسية وعوامل مساعدة على هذه الهجرة: أولاً، تتحدث نصوص كثيرة عن ضيق المجال حول السكان، أي Sténochorea . وهذا يشير بوضوح إلى عامل تزايد السكان إلى مستوى تجاوز حدود إمكانية الاستيعاب. وهنا يجب الأخذ بعين الاعتبار خصائص جغرافية بلاد الإغريق (انتشار الجبال، قلة المناطق السهلية الكبيرة، فقر التربة)، مما انعكس أصلاً على ضعف الموارد الاقتصادية للإيفاء بحاجيات السكان. ثانياً، عامل عدم الاستقرار: بسبب الصراعات الداخلية بين الدولات الإغريقية من جهة، أو داخل الدولة (بين الأحزاب والأسر الارستقراطية) من دون أن يصل الأمر بالضرورة إلى حرب أهلية بمعنى الكلمة داخل الدولة؛ فالجماعة الضعيفة التي تمثل المعارضة، فضلاً عن الأجانب، حين تيأس من إمكانية الوصول إلى السلطة أو فرض وجهة نظرها، تجد نفسها مرغمة على البحث عن موطن بديل تحظى فيه بظروف عيش أفضل. ومن بين الأمثلة على هذه الحالات: سكان مدينة مسينا الذين طردتهم الإمبراطيون من وطنهم، فلجأ عدد منهم إلى إيطاليا؛ ومن كورنثا انطلق أحد الارستقراطيين مع جماعة من أنصاره إلى صقلية، وأسسوا مدينة سيراكيوز. ثالثاً، السبب السياسي: لما تزايد خطر الفرس في آسيا الصغرى خلال القرن 6 ق.م، واستولوا على بعض المدن الإغريقية، اضطر إغريق تلك المدن إلى الهجرة: مثلاً سكان فوكايا اتجهوا إلى كورسيكا ثم أسسوا مسالياً على ساحل بلاد الغال (= فرنسا).

من الملاحظ أن المستوطنات الأولى كانت تقام في مناطق فلاحية خصبة دون إعطاء كبير اهتمام للموقع البحري والظروف الملائمة لإقامة الميناء، مما يدل على أن الهدف لم يكن تجاريًا في البداية، غير أن الواقع التجاري أصبح فيما بعد مهما، وبدأت المستوطنات الإغريقية تختار لنفسها مواقع ملائمة على الشاطئ.



خريطة الاستيطان في عالم البحر الأبيض المتوسط

أما العوامل المساعدة على حركة الاستيطان فمن أهمها: تقدم التقنيات اللاحية كالسفن الكبيرة والقوية، ذات الصفوف العديدة من الجدافين. وكذلك عامل استفادة الإغريق من تقنيات الملاحين الفينيقين (الاهتداء بالدب الأصغر الذي يسمى الدب الفينيقي). ثم معرفة الإغريق السابقة بالمناطق التي استوطنوها، إذ لم تكن غريبة عليهم منذ الموكينيين. هذا بالإضافة إلى الظروف العامة بالبحر الأبيض المتوسط الشرقي التي كانت ملائمة، باعتبار أن الفينيقين الذين كانوا يتحكمون في التجارة البحرية منذ سقوط موكياني، أصبحوا يعانون من هجمات الأشوريين.

الترتيبات المتعلقة بالاستيطان: كان إنشاء المستوطنة يتم بعد استشارة وحي الآلهة في مدينة دلفي Delphi قصد تحديد مكان المستوطنة، وأحياناً قصد تعين قائد الهجرة الذي يسمى المؤسس Oikistes. وعندما كانت الدولة هي التي تشرف على تأسيس المستوطنة، كانت تجمع المتطوعين الراغبين في الهجرة، فقراء أو أجانب. وكانت الحكومات الارستقراطية تعين في الغالب منافسيها للتخلص منهم. وأحياناً كانت القرعة تجري بين الأبناء في الأسرة الكثيرة الأطفال لأخذ ذكر يساهم في الهجرة. غير أن هذه الحركة لم تكن منظمة مسبقاً كما سيحدث في القرن 5 ق.م. ولم يكن الأمر يتعلق بتأسيس إمبراطوريات حتى بالنسبة لمدينة ميليتوس التي أنشأت كما يقال 95 مستوطنة؛ لأن المستوطنات كانت بطيئتها متتالية، ومستقلة عن بعضها البعض وعن الدولة الأم؛ والمهاجرون لم يكونوا كلهم ينتمون إلى نفس الدولة، بل كان ينظم إليهم مهاجرون من دوليات أخرى.

كانت المستوطنة تربطها بالدولة الأم علاقات روحية ملحوظة، إذ كانت في الغالب تحفظ بنفس المعبودات وأحياناً ببعض القوانين، وتشارك بوفد يمثلها في الأعياد الدينية المقامة في الدولة إلام. لكن تلك العلاقات لم تتعد كما ذكر بوليب حدود الطاعة الأبوية، ولم تكن هناك أي تبعية سياسية؛ حيث كانت المستوطنة مستقلة استقلاً كاملاً، بل يمكن أحياناً أن تدخل في حرب مع الدولية الأم؛ مثل كوركيرا التي هي جزيرة في شرق اليونان، استجذت بأثينا ضد كورنثيا الدولية الأم التي أسستها، والتي أرادت أن تتدخل في شؤونها الداخلية. وبعض المستوطنات كانت تقوم بدورها بإنشاء مستوطنات جديدة.

أما بالنسبة لمجال الاستيطان، فقد اتخذت الهجرة اتجاهات مختلفة. وحاول الإغريق الاستقرار كلما أمكن في المناطق الخصبة على سواحل الأبيض المتوسط. غير أن المستوطنات تأسست بالضرورة في المناطق القليلة السكان، والتي لم تكن تابعة لدولة مركزية قوية كمصر، أو لقوة بحرية كبيرة. وهكذا أنشأ الإغريق مستوطنات على الساحل الفينيقي؛ وأقصى نقطة في شمال إفريقيا وصلوا إليها هي قوريناء في ساحل ليبيا. كما أنهم لم يؤسسوا مستوطنة نوكراتيس، في مصر، إلا ببرضا من الفرعون بسميتاك الأول، الذي كان يستخدم المرتزقة الإغريق في جيشه، والذي جمع الجالية الإغريقية في ذلك المركز (نوكراتيس) احتراماً لشعور رعاياه المصريين. ولم يستطع الإغريق الاستقرار في مناطق نفوذ القرطاجيين في شمال إفريقيا، غرب خليج السيرت. وهكذا فإن المنطقة الوحيدة في شمال إفريقيا التي أقام فيها الإغريق مستعمراتهم هي منطقة قوريناء، وهي منطقة توجد على الحد الفاصل بين النفوذ المصري والنفوذ القرطاجي. وفيما بعد استأثرت القرطاجة بثلثي المسافة الفاصلة بين قوريناء وقرطاجة، وتركـتـ الثـلـثـ الـبـاقـيـ لـلـإـغـرـيقـ. كما أن أنظار الإغريق اتجهـتـ إـلـىـ السـوـاـحـلـ الشـمـالـيـةـ لـلـبـحـرـ الـأـبـيـضـ الـمـتوـسـطـ وجـزـرـهـ، وـالـىـ ضـافـفـ الـبـحـرـ الـأـسـوـدـ.

تجدر الإشارة إلى أن أهم المستوطنات وأقدمها أقيمت في جنوب إيطاليا وصقلية. وقد عرفت تلك المستوطنات تقدماً حضارياً كبيراً، وظلت تمثل جزءاً من البلاد الهلينية فترة طويلة، حتى أطلق عليها اسم إفريقيا الكبرى.

وأهم المستوطنات في إيطاليا : نيابوليس، ريجيون، كروتون، سيبارييس.

وفي صقلية : سيراكوز، جيلا، كمارينا.

وفي غاليا : مساليا التي تأسست حوالي 600 ق م

وفي إسبانيا : أومبوريون، ومستوطنة ميناكى mainake في ق 6 ق م ، التي أسست قرب مستوطنة مالقة Malaga الفينيقية التي تعود إلى القرن 8 ق م .

وفي سواحل البحر الأسود: بيزنطة عند مضيق البوسفور، وسينود Synode على الساحل الشمالي لآسيا الصغرى.

كانت أهمية تلك المستوطنات تكمن في دورها التجاري، حيث كانت تجلب لليونان القمح والصوف والجلود، بالإضافة إلى العبيد، وبعض المعادن كالفضة والحديد. ومن الملاحظ أن الدوليات اليونانية لم تشارك كلها في حركة الاستيطان، ومن بين أهم المساهمين: خالكييس (التي أسست أولى المستوطنات في إيطاليا وصقلية والبحر الأسود). ميكارا، في خليج كورنثا (توجه مستوطنوها إلى كل المناطق). كورنثا (اهتمت بصقلية). مليتوس (توجهت نحو البحر الأسود حيث أسست أكبر عدد من المستوطنات والمراکز التجارية). ثيرا (التي أسس مهاجروها مستوطنة قوريناء). أما علاقة المستوطنين بالأهالي، فرغم عدم توغل الإغريق داخل الأراضي بعمق، فإنهم تعرضوا لمقاومة السكان المحليين في بعض المناطق. وعلى سبيل المثال: مساليا كانت تتعرض لهجوم الليغوريين، فاضطررت في النهاية للاستجاج بالروماني. والمستوطنات في الهليسيون كانت تتعرض لهجمات التراقيين. ومستوطنات البحر الأسود تعاني من هجمات قبائل الأسقونذيين.

وفي شمال إفريقيا، بعدما أسس باتوس Battus مستوطنة قوريناء حوالي 631 ق.م أعلن السكان المحليون ثورتهم ضد المستوطنة الإغريقية، بقيادة ملكهم أدركان Adicran ؛ حيث كانت المستوطنة قد استولت على أخصب الأراضي في البلاد، واحتكرت التجارة مع الخارج. ونظراً لكون الإغريق كانوا يهددون أيضاً التجارة المصرية في المنطقة، وقع تحالف بين الفرعون أبرييس والليبيين، حيث أمدتهم بفرقة من المرتزقة الليبيين، لكن المتحالفين انهزوا سنة 570 ق.م. وفي حدث آخر، لما حاول دوريوس، أخو ملك اسبرطة، التوسع في اتجاه غرب قوريناء استعانت قرطاجة بقبيلة ليبية Maces ، فانتصر الحلف القرطاجي الليبي سنة 511 ق.م

التطورات الاجتماعية والسياسية: رافقت حركة الاستيطان الإغريقية تطورات اجتماعية واقتصادية

وسياسية عميقة في الدوليات اليونانية، تتجلى في ظهور وتقوی فئات اجتماعية جديدة ودخولها في صراع طويل مع الفئات القديمة؛ مما كان له كبير الأثر على الأنظمة السياسية التي تغيرت في معظم الدوليات الإغريقية، فانتقلت من النظام الملكي إلى الحكومات الارستقراطية، ثم حكم الطغاة، وأخيراً ظهرت بوادر النظام الديمقراطي في بعض الدوليات، وخاصة أثينا التي تبقى المثل الشهير، نظراً لتوفر المعلومات عنها بشكل أكثر وأدق، مقارنة مع ما يعرف عن الدوليات الأخرى. غير أن معظم الدوليات عرفت تطورات متشابهة لما وقع في أثينا، ومررت من نفس المراحل في أوقات متقاربة نسبياً. أما اسبرطة فعرفت تطويراً خاصاً، جعل منها في عدة مظاهر حالة فريدة في العالم الإغريقي. وقد كان الطابع الخاص لاسبرطة، بالإضافة إلى الدور العسكري الذي لعبته في تاريخ اليونان، من بين الأسباب التي أثارت اهتمام القدماء بمؤسساتها الاجتماعية والسياسية.

هيمنة الارستقراطية في القرن 8 ق م:

استطاعت الطبقة الارستقراطية القضاء تدريجيا على الحكومات الملكية في الدوليات الإغريقية، وذلك منذ القرن 10 ق م في أثينا والبلاد الأيونية، وإلى غاية القرن 6 ق م في بعض الجزر. ولم يبق النظام الملكي قائماً سوى في حواشي العالم الإغريقي في مقدونيا في الشمال، والإبیر في الغرب.

أما الملكية الفردية في اسبرطة، فكان لها طابع خاص، وكانت سلطة الملوك محدودة ولم تختف الحكومات الملكية أثر انقلابات ثورية، بل استولت الارستقراطية على الحكم تدريجياً بعد ما سلبت الملك سلطاته العسكرية والقضائية، وأبقيت أحياناً على دوره الديني كما وقع في أثينا حيث كانت سلطة الارستقراطيين تمس جميع الميادين: الميدان الاقتصادي، حيث كانت هي التي تملك معظم الأراضي والقطعان؛ الميدان العسكري، حيث كان أفرادها وحدهم يذهبون إلى الحرب على متن الجياد ويلعبون الدور الأول في الحرب التي كانت عبارة عن مبارزات فردية لا يلعب فيها المشاة سوى دوراً ثانوياً؛ الميدان السياسي، حيث كان مجلس الشيوخ يتكون من أفراد هذه الطبقة، ويلعب الدور الأساسي في تسيير الحكم، كما أن الحكام والقادة العسكريين كانوا يختارون أيضاً من بين أعضاء الارستقراطية؛ ثم الميدان الاجتماعي، حيث كان أفراد هذه الارستقراطية يعتزون بنسبهم العريقة، ويحاولون ربط أصلهم بالآلهة والأبطال الارستقراطيين لتبرير سيطرتهم الفعلية، وهذا ما جعلهم يتسبّلون بعشائرهم ويسعون للحفاظ على بعض سلطاتها.

القوى الصاعدة وأزمة الحكم الارستقراطي :

لم تلبث الارستقراطية أن دخلت عهد الانحطاط منذ القرن 7 ق م، لثلاثة أسباب :

- التطور الاقتصادي الناتج عن حركة الاستيطان: نشأت تيارات تجارية مهمة بين المستوطنات وبلاط اليونان، مما أدى إلى نشوء طبقة تجارية طموحة، وأحياناً كانت الفئات الفقيرة التي غادرت المدن اليونانية إلى المستوطنات ترجع إلى وطنها الأصلي بعد أن جمعت ثروة مهمة.

- انتشار استعمال النقود في القرن 7 ق م: ترتب عنه تحول في الظروف التجارية، ونزع من النبلاء الملكي العقار احتكارهم للثروة، حيث ظهر عامل جديد للتوزيع الطبقي : لأن الثروة أصبحت شيئاً فشيئاً تقاس بالنقود بعدما كانت تقاس برؤوس البقر وبمساحة الأرض. يسود الاعتقاد أن النقود بشكلها المعروف كقطع صغيرة ظهرت أول الأمر في مملكة ليديا بآسيا الصغرى وهي مملكة متلهلة، وكانت على اتصال وثيق بالمدن اليونانية في سواحل آسيا الصغرى. والأشكال الأولى للنقد كانت معروفة منذ القديم في عدة مناطق وكانت عبارة عن سبائك.

تطور التقنيات العسكرية :

تغيرت الخطط الحربية، نتيجة عنصرين جديدين: أولاً، بداية استعمال الترس المعدني ذو المقاييس ويسمى الهوبيلون، يضمن وقاية أكثر من الترس القديم المُقوَّر من الجانيين والمصنوع من الجلد. ثانياً تحول المعارك من مبارزات فردية إلى معركة جماعية، ومن تم تدهور الفرسان وأصبح المشاة الهوبيليت

يكونون دعامة جيش الفرسان. وكان الهوبليت ينتمون إلى الفئات الاجتماعية الدنيا، لذلك أصبحوا يطمحون إلى اكتساب دور مهم في الدولة يلائم دورهم في المعركة.

ظلت الارستقراطية صارمة ومتعدنة أمام هذه القوة الصاعدة ولا تقبل التنازل عن دورها، بل إن الارستقراطية كانت تستغل الفلاحين الصغار، حيث كانت تمنحهم قروضاً يرهنون فيها أراضيهم وشخصهم، وبما أنهم كانوا غير قادرين على تسديد الدين فإنهم كانوا يصبحون تحت رحمة مقرضيهم. فكان الحرمان وعدم المساواة والفقر المتزايد من أهم الأسباب التي أدت إلى أزمات اجتماعية تطورت إلى صراعات عنيفة بين المستضعفين الناقمين والارستقراطية، وترتب عن هذا ظهور الطغاة الذين ارتكبوا الشعوب، ثم مصلحين هبوا لظهور الأنظمة الديمocratique في معظم الدوليات الإغريقية، باستثناء اسبرطة.

2- اسبرطة، المجتمع والتطور السياسي:

شكلت دولية اسبرطة قوة قارية بامتياز. تقع في سهل لوكانيا، الذي يخترقه نهر يوروطاس، وتحيط بها جبال طايكاط وجبال برنون Parnon؛ ولها ميناء جثيون جنوباً، الذي يسمح لها بالانفتاح والتواصل عبر البحر. استأثرت على الحكم فيها أسرتان، هما أسرة أروبونتيد، وأسرة أجيس. لقد سيطر الآخيون بعد دخولهم بلاد اليونان على السكان السابقين منهم في مجال اسبرطة وعاشوا فيه مدة طويلة. ثم جاء بعدهم الدوريون الذين استولوا على معظم سهل لكيبيتون، حيث أسسوا دولة اسبرطة عبر الدمج بين القرى الخمس المجاورة التي صارت بمثابة أحيا لاحقاً. وقد طبع هذا التعمير مستقبل المجتمع الاسبرطي. حيث سيطر الدوريون بشكل مطلق، وأصبحوا هم مواطنون، وأخضعوا الدوريين السابقين منهم لهيمتهم وحولوه إلى مواطنين من الدرجة الثانية يعرفون باسم البرييك Périèques، لا حقوق سياسية لهم، ويشتغلون بالتجارة، ويشاركون في الجيش كمشاة. أما النسل المترتب عن السكان الأصليين الأوائل، السابقين عن الآخرين، فقد حولهم الدوريون إلى عبيد شأنهم شأن أسرى الحروب، ويعرفون باسم الهلوت Hilotes ، وظيفتهم العمل في حقول الأسياد الإسبرطيين، ويشاركون في الجيش ضمن قوة المشاة الخفاف العدة. فالمجتمع على هذا النحو جمع بين أقليّة تملك كل شيء، وأغلبية مُستَغلة ناقمة على الوضع وتتحين الفرص لإعلان العصيان والثورة على الأسياد.

لقد اقتضت الحاجة إذن إلى وضع قوانين تضمن السيادة للمواطنين، وتكرس القوة العسكرية في التوجّه الذي تبنّته الدولة الاسبرطية لفرض وجودها والدفاع عن مصالحها. وتنسب الرواية التقليدية إلى المشرع ليكورجوس – وجوده موضوع جدل بين الباحثين، وينسب إلى القرن 8 ق.م- وضع الدستور الاسبرطي؛ والغالب على الظن أن نظام اسبرطة فرضته الظروف السياسية، وصار سلوكاً مترسخاً في تاريخ الدولة، حيث كشف الواقع أن المجتمع الاسبرطي ظل مجتمعاً عسكرياً ارستقراطياً باستمرار، وعدوا للنظام الديمocratique. فاحتلت بهذا التربية العسكرية

مكانة أساسية في الدولة: حيث كان يتم الاحتفاظ بكل الأطفال الأصحاء جسدياً من أبناء المواطنين، أي من الارستقراطية، والتخلص من ذوي العاهات منذ الولادة، علماً بأن إنجاب الذكور كان مفضلاً على الإناث. يتربى الطفل في حضن الأم إلى غاية سن 7، حيث ينتهي دور الأسرة ويببدأ دور الدولة. فتأخذ الدولة وتتケّل بتربيته في المدارس العسكرية، حيث يتربى على قيم المواطنة، والنظام العسكري الصارم والقاسي، والإخلاص إلى المجموعة التي تشكّل فرقته، والمدينة التي تمثل وطنه؛ مع الاعتياد على حياة الخشونة لتحمل المشاق، والانضباط للأوامر.

وفي سن 30 يلحق الجندي، الذي صار رجلاً، بالجيش، ويمكنه الزواج، ويصبح عضواً في مجلس الشعب "الأبيلا Apella" الذي يضم كل المواطنين الذي أكملوا تدريبهم العسكري. ويستمر الجندي في الخدمة العسكرية حتى سن 60. وطوال هذه الفترة يشارك الرجال المنتسبون لفرقة في وجبات جماعية على نفقتهم بحكم الدستور؛ وكان محرر عليهم ارتداء المعادن النفيسة واستعمال النقود، والجميع متساوون في المظهر واللباس والسكن.. وكل فرد من المواطنين بحكم أنه جندي، محرر عليه العمل؛ حيث كانت الدولة تمنح هؤلاء المواطنين قطعاً أرضية متساوية يقوم بزراعتها الهيلوت مقابل سدس الإنتاج. ولم يكن مسموحاً للمواطنين الاسبرطيين مغادرة المدينة سوى بإذن، ما يفيد بانغلاق المجتمع.

أما بالنسبة لهيئات الحكم في الدولة، فتتكون من:

- ملكان اثنان: يُنتَخَب كل منهما مدى الحياة من الأسرتين العريقيتين (أسرة أجيس وأسرة أروبونتيد)، يتولى أحدهما القيادة العليا للجيش يتلقى الأوامر من هيئة أو مجلس الإيفور، والآخر وظيفته مدنية؛ ويرأسان الهيئة القضائية، ويقدمان القرابين للالهة باسم المدينة. وكل منهما خاضع لرقابة الآخر. وهم عضوان في مجلس الشيوخ.

- مجلس الإيفور أو الرقباء الشعبيون: يتكون من 5 أفراد منتخبين سنوياً عن أحياء المدينة الخمسة. وهم الحكام الفعليون في الدولة بحكم ما لهم من سلطة تشريعية وتنفيذية؛ وهم مسؤولون عن مراقبة الأخلاق وحفظ النظام والأمن، حيث كانت لهم شرطة سرية. ويشرفون على تجهيز الجيش، ويقدمون تقريراً حول سير المعارك إلى مجلس الشيوخ. ويمثلون الدولة في علاقاتها الخارجية، إذ يعقدون المعاهدات. الجدير بالذكر أن هذه الهيئة أبطالها سنة 227 الملك كليومين الثالث، الذي أدخل جملة من الإصلاحات، منها توسيع قاعدة المواطنين عبر منح المواطنة للكثير من الأفراد.

- الجيروسيما أو مجلس الشيوخ: 28 عضواً زائد المكان؛ وهم منتخبون مدى الحياة من بين المواطنين الذين بلغوا سن 60 لكن من الأسر النبيلة. يتولى المجلس إعداد القوانين والقرارات لعرضها على الجمعية الشعبية "الأبيلا" قصد المصادقة عليها؛ وينظر في جرائم القتل المتعلقة بالمواطنين الاسبرطيين؛ ويشرف على أعمال إدارات الدولة.

- الأبلا أو مجلس الشعب أو الجمعية الشعبية: تضم جميع المواطنين الجنود ممن بلغوا سن 30 وخدموا في الجيش. تعقد الجمعية اجتماعاً مرة كل شهر برئاسة الرقباء الشعبيين؛ ومهمتها المصادقة أو رفض القوانين الصادرة عن مجلس الشيوخ كما هي، دون الحق في إدخال تعديلات عليها.

- الجيش: شكل الجيش أساس الدولة الإسبرطية، باعتبار علاقته بالمجتمع والاقتصاد والسلطة، وكان بالضرورة سند هذه السلطة ومبرر استمرار وجودها. فوجب بالاستبعاد على الدولة دعم الجيش وضمان قوّته. وحيث أن المواطنين كانوا جنوداً قبل كل شيء، كما رأينا سابقاً، فإن إسبرطة لم تكن في حاجة إلى أسوار دفاعية لحماية نفسها؛ فهي "محصنة" -حسب قول منسوب للمشروع ليكوجوس- بـ"برجالها لا بـأسوار من الأحجار". وتتضح لنا مكانة ودور هذا الجيش في استمرار النظام الإسبرطي إذا علمنا مثلاً أنه في القرن 7 ق.م كان عدد المواطنين الإسبرطيين 30 ألفاً، مقابل 120 ألفاً من البرييك و210 ألفاً من الهيلوت؛ وبتعبير آخر، لقد وجب على المواطنين وهم أقلية تعدادها 30 ألف التحكم والسيطرة على السكان الآخرين البالغ مجموعهم 330 ألف (= البرييك + الهيلوت) وإلزامهم بخدمة السادة.

من الملاحظ أن إسبرطة لم تشارك في حركة الاستيطان. لعل السبب الأساسي يكمن في اختيارها نهج سياسة توسيعية على حساب غيرها في إقليم البيلوبونيز خلال القرن 8 و7 ق.م. ذلك أنها حاربت أركوس المنتمية لإقليم أركوليد وصاحبة السيادة فيه، والذي يقع شمال شرق إقليم البيلوبونيز، فتمكنـت من الهيئة على جزء من المناطق التي كانت تابعة لأركوس. كما أنها خاضت حروباً ضد جارتها مسينيا في جنوب غرب البيلوبونيز (هي 3 حروب منفصلة، تعرف بالحروب المسينية)، فتمكنـت خلالها إسبرطة من الاستيلاء على أجزاء من مجال مسينيا على التوالي، وانتهى الأمر بها بالوقوع تحت السيطرة المطلقة لـإسبرطة من سنة 735 ق.م إلى غاية سنة 371 ق.م. استحوذت إسبرطة بموجب ذلك على الأرض واستعبدت السكان، وحولت ملكية الأراضي إلى المواطنين الإسبرطيين وحولت أصحابها الأصليين إلى مزارعين (هيلوت) لدى الأسياد الجدد. واعتمـدت إسبرطة من جهة أخرى على سياسة الأحلاف؛ وبـحكم قوتها العسكرية كانت تضمن لنفسها الزعامة العسكرية ويكتفي الأعضاء بمدـها بالجند والعـتاد عند الـضرورة، وهذا مع عدم التـدخل في الشؤون الداخلية لأعضاء الحـلف. ولا بد من الإـشارة إلى أن إسـبرطة بعد التـوسيـع الذي حقـقتـه لم تعد مـهتمـة بالـصراع مع المـدن الإـغـريقـية الأخرى واكتـفت بــتقوـية سـيـطرـتها على المـناـطقـ التـابـعةـ لهاـ؛ الأمـرـ الذيـ سـمحـ لهاـ بالـتحـالـفـ معـ آثـينـاـ ضدـ الفـرسـ خـلـالـ الـحـربـ الـمـيـديـةـ. كـماـ اـتجـهـتـ للـتحـالـفـ معـ الفـرسـ بعدـ ذـاكـ ضدـ آثـينـاـ. استـمرـتـ إـسـبرـطـةـ مـتـشـبـثـةـ بـنـظـامـهاـ عـسـكـريـيـ وـلـمـ تـعـملـ عـلـىـ التـطـورـ،ـ مـاـ أـدـىـ فـيـ نـهاـيـةـ الـمـطـافـ إـلـىـ تـأـكـلـهـاـ مـنـ الدـاخـلـ تـماـشـيـاـ مـعـ تـنـاقـصـ أـعـدـادـ جـنـودـهـاـ،ـ حـيـثـ كـانـ عـدـدـ جـنـودـهـاـ فـيـ الـقـرنـ 4ـ قـمـ حـسـبـماـ ذـكـرـ أـرـسـطـوـ أـقـلـ مـنـ 1000ـ جـنـديـ.ـ مـنـ الـبـدـيـهـيـ أـنـ تـبـنيـ إـسـبرـطـةـ تـوـجـهاـ عـسـكـريـاـ فـيـ تـارـيخـهاـ،ـ حـالـ دونـ التـمـكـنـ مـنـ

المساهمة في مجال الفن والفكر والإبداع في المجال الحضاري، مثلما أبدع في المجال العسكري وما ارتبط به من منافسات في الألعاب الرياضية.

3- أثينا: المجتمع والنظام السياسي والإصلاحات

تنتمي مدينة أثينا إلى إقليم أتيكا الذي يحتضن سهل أتيكا الخصب. وهذا السهل تحيط به جبال مونبارناس وبِنْتَلِيكُونْ، ويضم بعض التلال، كما يتتوفر على ساحل بحري م肯 أثينا بحكم قربها منه من تشييد ميناء البيري الخاص بها، والذي لعب دوراً كبيراً في افتتاحها على العالم الخارجي وثرائها الكبير عبر التجارة. ولهذا صارت قوة بحرية بامتياز رغم أنها كانت دولة قارية. عموماً ساعدت ظروفها الطبيعية على تنوع أنشطة سكانها الاقتصادية. والجدير بالذكر أن أثينا لم تتعرض للتخرّب إبان الغزو الدوري في القرن 12 ق. م. أي أنها كانت موجودة من قبل في شكل مجتمعات متفرقة في شكل قرى توحدت على ما يبدو اثر هذا الغزو. حيث ورد في الرواية التقليدية أن الملك ثيسيوس وحد 12 مدينة في دولة واحدة. ما هو أكيد هو أنها في القرن 8 ق. م كانت دولة موحدة. وكان نظامها الاجتماعي مبني على 4 قبائل و12 عشيرة 360 أسرة؛ حيث كل قبيلة تتكون من 3 عشائر، وكل عشيرة تتكون من 30 أسرة. الملاحظ أن هذه الأرقام تتطابق مع عدد فصول السنة وشهورها وأيامها وعدد أيام الشهر، مما يطرح التساؤل حول مدى مصدقتيها. والراجح أن الأسر كانت تضم المواطنين بحكم المولد (النسب) ويرأس كل منها رئيس (رئيس الأسرة)، والجميع تربط بينهم قرابة دموية، في شكل سلالات. وقد مثلت أسرة أكميونيد أشهر أسر أثينا التاريخية.

في البداية لم تكن للفرد شخصية مستقلة، وظل ينتمي إلى المجموعة التي تربط بين أفرادها القرابة، والتي كانت تضمن مصالحه في ظل غياب الدولة. وبالموازاة لهذا سيطر النبلاء على المجتمع الأثيني، واستأثروا بكل الامتيازات والصلاحيات؛ الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى ظهور صراع اجتماعي بين فئات المجتمع من أجل اكتساب الحقوق والحرية الشخصية، اتضحت معالمه مع المشرعين والمصلحين، بدءاً بدرacos ثم سولون وكليسين وغيرهم، الذين حاولوا تطوير المجتمع ودولة أثينا، مما ساعد على تعزيز مكانة وشخصية الفرد وضمان حقوقه كمواطن حر ومستقل عن الجماعة، والانتقال إلى دولة القانون والمؤسسات، والتأسيس للنظام الديمقراطي كغاية مثلـى. لكنه المسار لم يكن سهلاً، كما أن الحفاظ على الديمقراطية لم يكن هو الآخر ممكناً: لقد بلغ النظام الديمقراطي أوجهه في القرن 5 ق. م، وبدأ تراجعه مع القرن الرابع بسبب اختلال التوازن بين الفرد والدولة، حيث أصبح المواطن يهتم بحقوقه دون الاهتمام بالواجبات، فاتجه المجتمع نحو الفوضى، واتجهت الدولة الأثينية نحو الانهيار.

التطور الدستوري ونظام الحكم: تبلور النظام الملكي كأول شكل للحكم؛ حيث مثل ضمنه الملك أعلى سلطة

في المدينة، وكان الملك يتميز ببنائه الأرجوانية؛ وقد جمع بين السلطة العسكرية باعتباره قائد الجيش، والسلطة

السياسية والإدارية باعتباره رأس الدولة، والسلطة القضائية باعتبار مكانته بين أفراد المجتمع، والسلطة الدينية باعتباره الكاهن الأكبر. وأحاطت به حاشية أرستقراطية من الأسر النبيلة. وتولى رؤساء القبائل خارج المدينة الإشراف الإداري والاقتصادي داخل القبيلة، ويلبسون مثل الملك البذلة الأرجوانية.

تمكن أفراد الارستقراطية تدريجياً من التأسيس للنظام الأرستقراطي ثم الأوليغارشي (= حكم الأقلية)، وذلك بإخضاع الملك لرقابتهم وانتزاع الصالحيات والسلط منه على التوالي: إذ سحبوا منه قيادة الجيش ليتوالاها أحدهم بصفة أرخون بوليمارك Archon Polymarch؛ والسلطة الإدارية التي توالتاها فرد منهم بصفة أرخون إبونيم Archon Eponyme؛ ولم يبق للملك بصفته أرخون بازيلوس Archon Basileus سوى السلطة الدينية (الكاهن الأكبر) والقضاء. فأصبحت السلطة في يد 3 ملوك. تمنع في البداية هؤلاء الملوك بمناصبهم مدى الحياة، لتصبح 10 سنوات فقط في منتصف القرن 8 ق. م، ثم تحولت إلى عام واحد منذ سنة 680 ق. م. وانتزعت من الملك بعد ذلك سلطة التشريع لفائدة هيئة جديدة تتكون من 6 أرخونات مشرعين Thesmothètes. فصار جهاز الحكم يتكون من 9 حكام.

والى جانب هؤلاء، لعب مجلس الشيوخ (= الأριούσν بائجوسن) دوراً كبيراً في الحكم. تكون المجلس من كبار الموظفين المنتسبين للأسر الأرستقراطية، والعضوية فيه لمدى الحياة، وله صالحيات متعددة: القضاء، والوصاية على القوانين، والإشراف على انتخاب المشرعين؛ إلى حد أنه صار صاحب السلطة الحقيقة في الدولة في ظل النظام الارستقراطي. أما الجمعية الشعبية فكانت شكلية، لدرجة أنها لا تفعّل من قبل الارستقراطيين المحكمين في السلطة.

في ظل هذا النظام الاجتماعي السياسي والإداري المبني على نبل الأصل والقرابة الدموية، عاش سكان أثينا موزعين بين الوحدات الجغرافية الطبيعية التي تشكل مجال دولة أثينا: السهل والجل والشاطئ؛ حيث أفرزت هذه الوحدات مع الزمن 3 أحزاب سياسية تعبر عن مصالح المجموعة التي تمثلها: حزب السهل، الذي كان يضم أصحاب الأرضي الزراعية والضياعات الكبيرة، وهم أثرياء من أصل نبيل، واحتكروا السلطة، وهم دعامة الحكم الارستقراطي. وكان حزب الشاطئ في المقابل يضم التجار وأصحاب السفن والمصالح الاقتصادية؛ وقد تمكن هؤلاء من تحقيق ثروة وجاه، غير أنهم كانوا يفتقدون لنبل المولد. وبحكم وضعهم الاقتصادي من جهة، والاجتماعي من جهة أخرى، سلكوا منحى سياسياً وسطاً بين حزب السهل المحافظ، وحزب الجبل الذي يتكون من المواطنين الفقراء، من الرعاة وصغار الفلاحين، وغيرهم من الضعفاء، وهؤلاء جميعاً كانوا ناقمين من وضعهم وظروف عيشهم، ويتطلعوا إلى التغيير.

لقد وجب على الدولة الأثنينية، ممثلة في نظامها الارستقراطي، القبول بالتغيير ولو على مضض. خاصة وأن نظام الحكم لم يعد قادراً على مواكبة التحول الاقتصادي المتامي الذي عرفه المجتمع في أثينا. فاحتلال ميزان الثروة أصبح واقعاً فرضته الثورة التجارية ونشاط الاستيطان فيما وراء البحار، بالإضافة إلى ظهور الثروة المنقولية كنتيجة لبداية استعمال النظام النقدي في بلاد الإغريق منذ 700 ق.م. وهذا كلّه أدى إلى ظهور أثرياء جدد، لهم رؤوس أموال كبيرة، منافسين لأصحاب الثروة العقارية القيمة. وفي المقابل ازداد الفقراء فقراً، بما فيهم المزارعون الصغار والحرفيون وغيرهم، وذلك في ظل تنامي ظاهرة الديون وعجز الكثيرين عن سداد ديونهم؛ وخاصة لما أصبحت القوة العسكرية تعتمد عليهم بشكل كبير بموجب تطور أسلوب المواجهة في الحروب (الانتقال من المبارزة الفردية إلى الفرقة العسكرية، واعتماد السفن الحربية في القتال)؛ حيث اقتضى استئناف العمل في الأرض الزراعية أو الورشة بعد التوقف، التوفّر على موارد؛ فكان اللجوء إلى الاستدانة من الأغنياء هو الحل. لكن العجز عن السداد كان يعرض المفترض لفقدان حريته وممتلكاته؛ فتعمقت الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكانت مشاركة الفئات الدنيا في الدفاع عن الدولة مدخلاً آخر للمطالبة بالحق في المشاركة في تسيير الدولة؛ مما حتم الصراع بين الارستقراطية وبقى فئات المجتمع المتضررة. وتعالت الأصوات بضرورة الإصلاح أو التمرد.

بدأت إرهاصات التغيير في القرن 7 ق.م بمحاولات فردية (تجربة كيلون) للانقلاب على الحكم، لكنها فشلت وقوبلت بقمع شديد زاد من تفاقم الأزمة. حاول دراكون، ذو الأصل الارستقراطي، المُنتَخَب في منصب أرخون إيونيم لسنة 621 تهدئة الأوضاع، بإنجاز بعض الإصلاحات، ومن أبرزها:

- إصدار قوانين مكتوبة لأول مرة، يطلع عليها الجميع، وقد اتسمت مضامينها بالصرامة. تكفلت بإعدادها الهيئة التشريعية Thesmothètes المكونة من 6 أفراد.
- فتح المجال لفئات جديدة من الأغنياء لتولي منصب الأرخون.
- جعل محكمة القضايا الجنائية من اختصاص الدولة، بيت فيها مجلس الأriosos باجوس بدل العشائر. لكن هذه الإصلاحات كانت سطحية رغم أهميتها، باعتبار أنها لا تعالج جوهر المشكل. فلما تولى صولون منصب الأرخون سنة 595 ق.م قام بعدة إصلاحات أهمها:

- إلغاء قانون دراكون، وأصدر دستوراً يتوكى إصلاحاً توقيرياً.
- إلغاء الديون، وتحرير المستعبدين بسبب الديون، وحرّم رهن الإنسان لنفسه مقابل دين.
- وعفا عن المنيفين خارج أثينا، وعن السجناء الذين لم يقرروا جرائم سياسية.
- شجع الملك الصغار، والتشجيع على التعاطي للزراعة الشجرية.

- دعم الطبقات الدنيا عبر تنظيم الأوزان والمقاييس وإرساء عملة نقدية جديدة قوية، مما مكن التجارة من التطور والازدهار، كما حرم تصدير القمح خارج أثينا.

- إحداث مجلس حكم جديد "البولي Boule" موازي لمجلس الشيوخ "الأريوس باجوس".

- إحداث محكمة شعبية "الهيليا Heliea"

و عمل صولون ضمن إصلاحه على إعادة تنظيم المجتمع سياسياً حسب المجال (4 قبائل مجالية كل منها تضم 3 وحدات جغرافية: السهل، الشاطئ، الجبل)، ومادياً حسب الثروة، حيث اعتمد 4 طبقات، مع تحديد مهام ووظائف كل منها:

○ الطبقة الأولى تشمل من تبلغ ثروتهم على الأقل 500 مدیوم من الحبوب (مدیوم = 51,48 لتر من الحبوب) أو ما يعادل قيمتها. ولأفرادها حق الترشح للمناصب العليا في الدولة، منصب الأرخون ومناصب القيادة في الجيش.

○ الطبقة الثانية تضم من تبلغ ثروتهم على الأقل 300 مدیوم، وهي طبقة الفرسان؛ تتولى المناصب الأقل أهمية من مناصب الطبقة الأولى.

○ الطبقة الثالثة: تشمل من يصل دخلهم على الأقل 200 مدیوم، وهم من الحرفيين وال فلاحين والتجار، ومن حقهم تولي بعض المناصب الصغرى، ويشكلون فرق جيش المشاة الثقيلة العدة.

○ الطبقة الرابعة: تضم المواطنين الأحرار الذين لا يملكون شيئاً، وتعرف باسم "التيتيس Thètes" لاحق لهم في المناصب، لكنهم يمدون الجيش بفرق المشاة الخفيفة العدة، ولهم حق العضوية في الجمعية الشعبية Ecclésia

غادر صولون مدينة أثينا (الزيارة مصر، قبرص، ليديا) بعدما اعتزل الحكم وحصل على تعهد من حكام أثينا بعدم تغيير قوانينه قبل مضي 10 سنوات. . حقيقة أن صولون قام بإنجاز كبير؛ حيث مست إصلاحاته التشريعية مختلف المجالات، لكنها رغم ذلك لم تعالج قضية تناقض المصالح بين الطبقات المختلفة، في ظل استمرار الفوارق الطبقية، واستمرار انتشار الارستقراطية بالهيمنة داخل الدولة وان كانت الإصلاحات قد نالت منها بعض الشيء.

فتح استمرار التوتر المجال لعصر الطغاة في أثينا. حيث تمكّن بزيسنراتوس، بعد عدة محاولات، من الاستيلاء على السلطة سنة 546 ق م إلى غاية وفاته 527 ق م، مدعوماً بالفئات الدنيا على وجه الخصوص. انه طاغية، لكنه لم يكن حاكماً مستبداً؛ وقد خصّه أرسطو بالقول "كان معتملاً في حكمه وسلك فيه مسلك السياسي لا مسلك الرجل الظالم المستبد". فلضمان حكمه قام بنفي المعارضين من النبلاء، وقسم أراضيهم على الفقراء، كما أصلاح الجيش، وأنشأ الأسطول البحري، وعمل على نشر الأمن والنظام في الدولة، وفتح أورشا كثيرة لتزيين أثينا

لتبدو كأعظم مدينة إغريقية (توفير فرص عمل)، وشجع الفنانين والمهندسين والمعماريين والناحاتين على الإبداع. وشجع على الاستيطان في إقليم تراقيا حيث منجم الفضة وضمان حركة نقل القمح من البحر الأسود. وشجع أيضا التجارة الخارجية وزراعة الأشجار المثمرة. وتمكن من كسب تعاطف الجماهير أيضا عبر تنظيم المهرجانات الدينية والحفلات الرياضية. هذا دون إغفال اهتمامه بمجال الفكر والأداب.

سار ابناه اللذان خلفاه في الحكم على نهجه لمدة 13 سنة، لينقلب بعد ذلك هبياس إثر مقتل أخيه إلى العنف الشديد والتسلط، والقسوة والتجسس على المواطنين. دفعت هذه الأجواء بأسرة أكميونيد المنفية لتحين الفرصة المواتية قصد الزحف على أثينا بدعم من اسبرطة. فتمكنت من الإطاحة بهبياس سنة 510 ق.م.

برز من بين أفراد أسرة أكميونيد المشرع والمصلح كليستين الذي ترشح لمنصب الأرخون؛ لكنه أمام فشله ضد منافسه حرض الشعب على العصيان، وحرّك المواطنين ضد خصمه بذرية علاقاته مع اسبرطة، وبذلك تمكن من الاستيلاء على الحكم باسم الشعب سنة 506 ق.م. فعمل على إرساء نظام جديد كان مدخلا للنظام الديمقراطي، من بنوته:

- إلغاء تقسيم المجتمع إلى 4 طبقات حسب المولد، وأبدلها بتقسيم جغرافي يعتمد مكان الإقامة، أي احدث 10 قبائل وكل قبيلة تضم جزءا من سكان السهل والشاطئ والجبل، وكل قبيلة تتكون من 10 ييموي.
- منح الجنسية للأحرار الذين ولدوا من أصل أجنبي، مما رفع من عدد الناخبين.

- جعل قيادة الجيش في يد 10 قادة Strateges واحد من كل قبيلة، يختار عن طريق الانتخاب دائما.
- أضاف كتابا لهيئة الأرخونات فصار عددهم 10 واحد عن كل قبيلة.

- رفع عدد أعضاء مجلس البولي من 400 إلى 500 عضو، لكل قبيلة الحق في 50 مقعدا، حيث يتم اختيار المترشحين سنويا بالاقتراع من بين من تتوفر فيهم شروط العضوية بين جميع المواطنين كيما كان دخلهم: اقتضى القانون بلوغ المرشح 30 سنة، وان لا يكون المرشح قضى فترتين في المجلس. وقسم السنة إلى 10 فترات يتولى خلال كل فترة منها ممثلو قبيلة تسيير شؤون الدولة. وبحكم صلاحيات هذا المجلس صار أهم هيئة في الدولة: ينظر في المشاريع التي تعرض على الجمعية الشعبية، وله سلطة قضائية وإدارية وحق الأشراف على موظفي الحكومة.

- والجمعية الشعبية "الإكليزيا" زاد عدد أعضائها بمن دخلها من المواطنين الجدد. ولها حق قبول أو رفض المقترفات الصادرة عن مجلس الخمسينات "البولي". وكان من حقها إصدار قرار النفي لمدة 10 سنوات في حق من يراهم أعضاؤها يمثلون خطرا على الدولة.

كانت هذه الإجراءات تستجيب لطموحات الانتقال إلى النظام الديمقراطي، نظام شعبي يضمن حرية الفردية، وتحقيق فيه العدالة والمساواة بين جميع المواطنين على مستوى الحقوق والواجبات، مما ساعد كثيرا على فتح الباب على

مصارعيه للمنافسة والعطاء المثير في مختلف المجالات، وقوى العلاقة بين الفرد والدولة، الأمر الذي مكن أثينا منذ القرن 6 ق م من تدارك تأخرها مقارنة بغيرها من المدن الإغريقية، وتحصيل ثرائها الاقتصادي، بفضل تطوير زراعتها وصناعاتها وخاصة منها الخزفية، وتجارتها التي شهدت نموا مطردا، لدرجة أن أثينا تمكنت من السيطرة على التجارة وطرقها في حوض البحر الأبيض المتوسط. ومكنتها ذلك أيضا من تحقيق نبوغها الفكري والفنى، وشهرتها كعاصمة للعالم الإغريقي، وعاصمة رئيسية للعلم والمعرفة والفنون في عالم البحر الأبيض المتوسط منذ اواخر القرن 6 ق م (الفترة الكلاسيكية). كما مكنتها ذلك التلامب بين الفرد والدولة، الذي ترسخ مع النظام الديمقراطي، من تجاوز الكثير من الأزمات الخارجية التي ألمت بها، وخاصة منها الحروب الميدية (التحالف الاغريقي بزعامة أثينا ضد امبراطورية الفرس) والحروب البيلوبونيزية (بين حلف أثينا وحلف إسبرطة)، في ظل وجود إسبرطة، المتشبعة بالنظام الاستقرائي، منافسا وخصما لذودا لها.